الرابطة

الرابطة

* واشنطن تحتضن المنتدى الأول لوثيقة مكة المكرمة

* جهود الرابطة لمواجهة الخوف المتبادل بين الإسلام والغرب

السنة ٥٨ العدد ٦٦٤ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ. ديسمبر ٢٠٢١ م

الأمين العام للأمم المتحدة يستقبل د. العيسى بمقرّ المنظمة في نيويورك

شهرية. علمية. ثقافية. تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة ٥٨ العدد ٦٦٤ جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ. ديسمبر ٢٠٢١ م

وثيقة مكة المكرمة في واشنطن

توجد اتجاهات داخل دوائر التفكير الاستراتيجي بحتمية الصراع والمواجهة بين القوى الفاعلة في العالم، وهناك مساعٍ حثيثةٌ من قبل بعض المفكرين لتقديم إطارٍ عقائدي وفكري لما يسمونه صدام الحضارات.

وجاءت أحداث كبيرة فأعادت أطروحة "صدام الحضارات" إلى واجهة المناقشات الفكرية والسياسية، ليذهب كثير من المراقبين إلى تحققه الوشيك، بل حدوثه بالفعل.

ويحاول الكثير من هؤلاء المراقبين والمفكرين أن يفهموا مجموعة التفاعلات أو شبكة علاقات القوى: الصراعية منها والتعاونية على أنها محض صدام بين الحضارات. ويعتبرون أن الصراع مع الاتحاد السوفيتي السابق كان صراعًا داخل الثقافة الغربية بمعنىً من المعاني، لذا فإن الصراع يعود لطبيعته الأصلية عقب انتهاء الحرب الباردة بما هو صراع بين حضارات وثقافات.

وقد كان الموقف الثابت لرابطة العالم الإسلامي هو تجاوز حالة الصراع والحث على القيم الإنسانية المشتركة الكفيلة بتحقيق مصالح البشرية بأسرها.

وحين تؤكد الرابطة في كل مواقفها ومناسباتها على هذا التوجه نحو الحوار والسلام، إنما تنطلق من مسؤوليتها تجاه أمتها وتجاه الإنسانية، وهي مسؤولية تمليها عليها دواعي إيقاظ الوعي البشري إلى ضرورة الحوار والتفاهم.

إن آخر ما يحتاج إليه العالم الإسلامي في هذا الوقت الدقيق من تاريخه، هو أن يدخل في مواجهة عنيفة بين شعوبه وحكوماته، أو مواجهة غير متكافئة مع جهات أخرى في هذا العالم.

ولذلك يظل موقف الرابطة هو البعد عن الأحكام المسبقة، وتشجيع الحوار بين العالم الإسلامي والغربي، والعمل على نشر قيم الأخوة والتسامح، وتشجيع التعايش المشترك.

وهذا هو ما تضمنته كلمة معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في منتدى "وثيقة مكة المكرمة لتعزيز الوحدة والتعايش العالمي: تعاون الأديان من أجل الأمن والصحة والتنمية"، الذي جرى تنظيمه بشراكة بين كبرى المؤسسات الدينية الإسلامية وغير الإسلامية من مختلف الولايات الأمريكية. وقد أشار معاليه إلى أن وثيقة مكة المكرمة أكدت أهمية احترام وجود التنوع بأطيافه كافة، وأن هذا يمثل في معناه الصحيح احترام إرادة الخالق في وجود الاختلاف والتنوع والتعدد بين البشر. ودعا معاليه إلى حوار وتحالف الحضارات وعدم الالتفات لنظرية صدام وصراع الحضارات، وأن الحتمية المنطقية تقتضي الإيمان والعمل بهذا التحالف، مؤكداً أهمية الفهم العميق للنظريات الفلسفية في هذا الموضوع حتى لا نتسرع ونسيء فهم أصحابها.

ولا شك أن أطروحة "صدام الحضارات" لدى أصحابها هي تعبير كاذب يُقصد به صرف النظر عن حقيقة الصراعات القائمة والمقبلة التي يدعو لها البعض، تغطيةً للأسباب الحقيقية لنيات مثيري هذه الصراعات، باعتبارها قائمة أساساً على التنافس الاقتصادي والجيوسياسي لخدمة المصالح الخاصة. ومن الضروري التصدي النقدي لهذه "الأطروحة" وتعميم الوعي بمضمونها وأهدافها، وبخاصة أنها تحاول تسويق صورة سلبية عن الإسلام، ووصمه بالعنف والإرهاب.

السلام هو أساس الإسلام، ومصالح الإنسان في كل مكان تترافق دائمًا مع وجود السلام، وهذا هو السبب لرغبة المسلمين في الوصول إلى بيئة مسالمة وحياة آمنة تحقق مصالحهم ومصالح المجتمع الإنساني كافة.

ما ضرَّ لو جعلوا العلاقة في غدٍ
بين الشعوب مودةً وإخاءَ

واشنطن تحتضن المنتدى الأول لوثيقة مكة المكرمة لتعزيز مفهوم الأسرة الإنسانية الواحدة بقيمها المشتركة

5

علم المستقبليات والتخطيط أساس للتنمية

28

(ملف خاص) ١٨ ديسمبر اليوم العالمي للّغة العربية

32

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

المدير العام للاتصال والإعلام

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

ياسر الغامدي

المراسلات:

مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧

فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني:

mwljournal@themwl.org

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

العدد: ٦٦٤
جمادى الأولى ١٤٤٣ هـ - ديسمبر ٢٠٢١ م

لقاء بين الرابطة ومجلس حكماء المسلمين

بحث مجلس حكماء المسلمين مع رابطة العالم الإسلامي أوجه التعاون في ترسيخ قيم السلام ومواجهة التطرف في العالم الإسلامي، حيث إن التعاون بين رابطة العالم الإسلامي بصفتها مظلة إسلامية جامعة، ومجلس حكماء المسلمين سيسهم في تنمية المجتمعات الإسلامية.

جاء ذلك خلال اللقاء الذى جرى في العاصمة الإيطالية روما بين د. سلطان الرميثي، الأمين العام لمجلس حكماء المسلمين، والدكتور عبد العزيز بن أحمد سرحان، المستشار الخاص للأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ومدير مكتب الرابطة في إيطاليا.

حوار حول العلاج بالتسامح 58

من فنون العمارة الإسلامية مسجد قرطبة بالأندلس 61

مخاطباً الحضور العالمي للمنتدى الأول لوثيقة مكة المكرمة الذي استضافته العاصمة الأمريكية واشنطن

معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

الشيخ الدكتور محمد العيسى:

"وثيقة مكة المكرمة امتدادٌ لوثيقة المدينة المنورة، التي رسّخت قيم السماحة الدينية والأخوّة الإنسانية".

"صدور وثيقة مكة المكرمة بإمضاء كافة الطوائف والمذاهب الإسلامية يؤكد على مستوى التأثير الكبير والاستثنائي لهذه الوثيقة".

"عالم اليوم لا تنقصه المبادرات والخطب والقرارات الدوْلية المجردة، وإنما تفعيلها، لتكون واقعًا ملموسًا وعملًا مستدامًا فيما يتطلب الاستدامة؛ لذا ركّزت وثيقة مكة المكرمة على البرامج العملية والشراكات في الداخل الإسلامي وخارجه".

mwlorg themwl.org

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE

بمشاركة مسؤولين وقيادات دينية ورؤساء مراكز بحثية وعددٍ من الأكاديميين

واشنطن تحتضن المنتدى الأول لوثيقة مكة المكرمة

واشنطن:

احتضنت العاصمة الأمريكية واشنطن، منتدى "وثيقة مكة المكرمة لتعزيز الوحدة والتعايش العالمي: تعاون الأديان من أجل الأمن والصحة والتنمية"، الذي جرى تنظيمه بشراكة بين كبرى المؤسسات الدينية الإسلامية وغير الإسلامية من مختلف الولايات الأمريكية، بمشاركة معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، والمديرة التنفيذية لمكتب البيت الأبيض للشراكات

د.العيسى: وثيقة مكة المكرمة امتداد لوثيقة المدينة المنورة التي رسَّخت قيم السماحة الدينية والأخوَّة الإنسانية

الوثيقة أول إجماع إسلامي من نوعه عبَّرَ عن كلمة علماء الشريعة الإسلامية تجاه قضايا معاصرة مهمة

القائمة على العقيدة والجوار، السيدة ميليسا روجرز، ونخبة من قادة السياسة والفكر ورؤساء وأعضاء المراكز الفكرية والبحثية وعدد من مختلف القيادات الدينية والأكاديمية.

وشهد المنتدى جلسةَ نقاشٍ افتتاحية، تلتها خمس ورش عمل موسَّعة، ناقَشت موضوعات تتعلق بالحريات الدينية، وتعاون أتباع الأديان، إلى جانب القضايا الاجتماعية في مجتمعات الأقليات، ودور الاستجابة الدينية في أوقات الأزمات، كما شهد العرض التفصيلي لتخطيط وثيقة مكة المكرمة التنفيذي القائم على المقاصد العليا للشريعة الإسلامية، وهي الضروريات الخمس، والتي تمثل من حيث الأصل والعموم مشتركاً إنسانياً يؤمن به الجميع، إضافة إلى تخطيط الوثيقة على أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر المتفق عليها دولياً، والتي أعلنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة لتكون "مخططاً لتحقيق مستقبل

أفضل وأكثر استدامة للجميع"، إذ تتلاقى مبادئ وثيقة مكة المكرمة وأهداف التنمية المستدامة في القضايا الأساسية للعدالة والفقر والأضرار البيئية، وتخفيف حدة العنف، وتعزيز السلام والتعايش، وغيرها من القضايا الأساسية حول العالم.

وتناول معالي د. العيسى في الجلسة الافتتاحية مضامين وثيقة مكة المكرمة، موضحاً أنها امتداد لوثيقة المدينة المنورة أو دستور المدينة المنورة الذي أمضاه النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، مع مختلف مكونات المجتمع في المدينة المنورة، وأكد معاليه أن وثيقة المدينة المنورة كانت أصدق تعبيرٍ بشاهده الوثائقي على قيم السماحة الدينية الإسلامية، متضمنة الدعوة للتعايش بكامل الحقوق والواجبات مع التأكيد

خمس ورش عمل ناقشت تعاون أتباع الأديان ومجتمعات الأقليات ودور الاستجابة الدينية في الأزمات

الإعلان عن أربعة برامج عالمية تنطلق من مبادئ الوثيقة وتستمد أنشطتها من مجالات الاهتمام الدولي

على كرامة الإنسان وحقه في الوجود بكامل حريته المشروعة "مهما يكن دينه أو ثقافته أو عِرْقه"، وأنه لا يدعم المعنى الجميل للحرية

صدور وثيقة مكة بإمضاء الطوائف والمذاهب الإسلامية كافة يؤكد على مستوى التأثير الكبير والاستثنائي للوثيقة

شـــيء مثل ما تدعمه المبادئ الدستورية التي تتفرع عنها القوانين الوطنية التي يلزم الجميع احترامهـــا، لئلا تتحول الحريـــة لفوضى ومن ثم إيجاد الذرائع للانفلات من القانون بذرائع خاطئة تنتهك القانون وقيم المجتمع الوطني التي تمثل في واقعها قيمه الوطنية المستمدة من دستوره وتاريخه الأخلاقي المشترك.

وأشار معاليه إلى أن وثيقة مكة المكرمة أكدت على أهمية احترام وجود التنوع بأطيافه كافة، وأن هـــذا يمثل في معناه الصحيـــح احترام إرادة الخالق في وجود الاختـــلاف والتنوع والتعدد بين البشر، مضيفاً أن الوثيقة دعت إلى حوار وتحالف الحضارات، وعدم الالتفات لنظرية صدام وصراع الحضارات، وأن الحتمية المنطقية تقتضي الإيمان والعمل بهذا التحالـــف لا حتمية الصراع كما هي مفاهيم التشـــاؤم والتصور الخاطئ للتنوع البشـــري، مؤكداً على أهميـــة الفهم العميق للنظريات الفلســـفية في هذا الموضوع حتى لا نتسرع ونسيء فهم أصحابها.

ونوَّه إلى أن رســـالة وثيقة مكـــة المكرمة بدأت تترســـخ فـــي الوعي الإســـلامي، مشـــيراً إلى انعقاد اجتماع وزراء خارجية الدول الإســـلامية في نيامـــي بجمهورية النيجر فـــي نوفمبر من العـــام الماضي الذي تم خلالـــه طرح وثيقة مكة

المكرمة للنقاش، ثم أعلن الوزراء باسم بلدانهم في بيانهم الختامي وبالإجماع إقرار وثيقة مكة المكرمة ليستفاد منها في المؤسسات الدينية والثقافية والتعليمية في دول العالم الإسلامي؛ وذلك باعتبارها مرجعية تُعبّر عن الهوية الدينية للأمة الإسلامية، حيث أمضاها أكثر من ١٢٠٠ مفتٍ وعالم يمثلون ٢٧ مذهباً وطائفةً من كلّ أطياف التنوُّع لعلماء الشريعة الإسلامية بدون استثناء، والذين وفدوا من ١٣٩ دولة ليلتقوا ويتفقوا على هذا الإنجاز التاريخي بجوار قبلتهم الجامعة، حيث اكتمل جمعهم في مكة المكرمة بجوار الكعبة المشرفة في شهر رمضان في عام ٢٠١٩، معبرين عن كلمة علماء الدين للأمة الإسلامية في أبرز القضايا المعاصرة.

وتابع الشيخ العيسى قائلاً: وثيقة مكة المكرمة امتداد لوثيقة المدينة المنورة التي رسَّخت قيم السماحة الدينية والأُخوَّة الإنسانية، مؤكداً أنها أول إجماع إسلامي من نوعه عبَّرَ عن كلمة علماء الشريعة الإسلامية تجاه قضايا معاصرة مهمة، وأن حضور هذا التنوع بمختلف مذاهبهم وطوائفهم من أجل تحقيق هذا الإنجاز التاريخي الوحدوي لم يحصل من قبل على امتداد التاريخ الإسلامي.

وأضاف: صدور وثيقة مكة بإمضاء الطوائف والمذاهب الإسلامية كافة يؤكد على مستوى التأثير الكبير والاستثنائي للوثيقة، وقد عكس هذا قرار الدول الإسلامية في اجتماع نيامي المشار إليه.

وختم معاليه، بالتأكيد على أن عالم اليوم لا تنقصه المبادرات والخطب والقرارات الدولية وإنما تفعيلها، لتكون واقعاً ملموساً وعملاً

مستداماً فيما يتطلب الاستدامة، لذلك ركّزت وثيقة مكة المكرمة على البرامج العملية والشراكات في الداخل الإسلامي وخارجه، وقال معاليه: "إن هذا اليوم على سبيل المثال شهد في عرضه التقديمي إعلان تنفيذ أربعة برامج عالمية، انطلاقاً من مبادئ وثيقة مكة المكرمة، هي: الدبلوماسية الدينية بقيمها المشتركة مع مختلف أتباع الأديان، وإشراك الشباب، والتمكين المشروع للمرأة، وبناء القدرات، والتي ستستمد أنشطتها من مجالات الاهتمام الإنساني والاجتماعي والاقتصادي على المستوى الدولي".

وتتابعت على إثر ذلك كلمات المشاركين ومداخلات الحضور، ومن بينهم سياسيون وقيادات دينية بارزة من عموم أتباع الأديان بمختلف طوائفها المسيحية: الإنجيلية والكاثوليكية والمورمنية، وكذا قيادات دينية يهودية مستقلة، كما شهد المنتدى قيادات دينية إسلامية قدموا من عموم الولايات، مع أسماء بارزة لمراكز فكرية في العاصمة واشنطن، ورواد أكاديميين من واشنطن العاصمة ومن بعض الولايات، واعتبر الجميع أن هذه الانطلاقة من الولايات المتحدة وبهذه الحفاوة التي لقيها المنتدى تؤكد أن وثيقة مكة المكرمة وثيقة إنسانية عالمية.

القيم الحضارية والاتجاهات الفلسفية المشتركة

بالتعاون مع اليونسكو، وجامعة كولومبيا، والاتحاد السفاردي، نظّمت رابطة العالم الإسلامي في نيويورك ملتقى ثقافياً حول: القيم الحضارية والاتجاهات الفلسفية المشتركة، تناول إسهامات الرابطة التاريخية، منوهاً بالحدث الكبير لمضامين "وثيقة مكة المكرمة".

العيسى يلتقي عددًا من قيادات التنوع الإسلامي في الولايات المتحدة

استقبل معالي الشيخ د. محمد العيسى في مقر إقامته بواشنطن عددًا من قيادات التنوّع الإسلامي في الولايات المتحدة، وفي هذا السياق التقى سماحة السيد محمد الباقر الكشميري، وفضيلة الشيخ د. رسول نقوي، وقد حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمد ماجد وفضيلة الشيخ د.محمد السنوسي.

بحضور رئيس الجامعة وجمع غفير من الأكاديميين والطلبة

الأمين العام يلقى محاضرة تناولت قضايا معاصرة

استضافت جامعة يشيفا بنيويورك معالي الشيخ د. محمد العيسى، حيث ألقى محاضرة تناولت قضايا معاصرة، مشيرة للمعالجات الحضارية التي قدّمتها "وثيقة مكة المكرمة"، وفي الختام تم تكريم معاليه على جهوده في نشر السلام ومحاربة الكراهية.

العيسى يلتقي عددًا من القيادات الإنجيلية الأمريكية

استقبل معالي الشيخ د. محمد العيسى في مقرِّ إقامته بواشنطن عددًا من القيادات الإنجيلية الأمريكية، وتمت مناقشة موضوعات مشتركة، إضافةً إلى استعراض المضامين الإنسانية الحضارية السامية في "وثيقة مكة المكرمة"، وآفاق الشراكة في ترسيخ مضامينها، التي تؤسس للوئام المجتمعي والعالمي.

الأمين العام للأمم المتحدة يستقبل معالي الأمين العام للرابطة بمقرّ المنظمة في نيويورك

نيويورك:

استقبل الأمين العام للأمم المتحدة، السيد أنطونيو غوتيريش، معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، والمشرف العام على منتدى التواصل الحضاري، الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، بمقر هيئة الأمم المتحدة في نيويورك.

ورحّب السيد غوتيريش، بالأمين العام للرابطة، ثم عقد الجانبان اجتماعًا مُوسّعًا تناول المبادرة التي قدمها معالي الدكتور محمد العيسى لتعزيز الجهود الدولية في مواجهة الكراهية وحماية دور العبادة حول العالم من خلال برامج متنوعة وفعالة، مؤكداً معاليه أن المآسي التي عانت منها الإنسانية ولاتزال تعاني منها باطّراد تبدأ في عموم حالاتها بفكر خاطئ يتبلور في كلمة سيئة تنطلق بكل جرأة وتحدٍّ نحو الآخر، وهي تحمل في داخلها سموم الكراهية، بل تجاوز الأمر إلى منازعة الآخر في حقه في الوجود باحترام وكرامة، مؤكداً أن التقدم الحضاري المادي كان ينقصه التقدم المطلوب في القيم الإنسانية المشتركة، وأن التساهل في الدور المنوط بالمؤسسات المسؤولة من شأنه أن يعيد تلك القيم للوراء ويمهد الطريق للأشرار، وأن النتيجة الحتمية لذلك سوف تدفع ثمنها الإنسانية جمعاء، سواء في سلامها العالمي، أو وئام مجتمعاتها الوطنية المتنوعة.

فيما قدّم معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي شكره وتقديره العالي للسيد أنطونيو غوتيريش على ما أبداه من الدعم الكبير للمبادرة التي تم طرحها بحضور ومشاركة ودعم السفير العالمي السيد رونالد لاودر، وهو الناشط الأمريكي حول العالم في بناء الجسور ومحاربة الكراهية، كما حضر اللقاء بجانب الأمين العام للأمم المتحدة الممثل السامي لتحالف الحضارات بالأمم المتحدة السيد ميغيل أنخيل موراتينوس، الذي نوه بفكرة المبادرة وأهمية دعمها.

د.العيسى يلتقي وفداً من جامعة جونز هوبكنز

استقبل معالي الشيخ د. محمد العيسى وفداً من جامعة جونز هوبكنز، يتقدمهم مديرة مركز أبحاث السياسات، د.شانون فراتارولي، و د. كاليب الكسندر، ومن مركز القيادة المسؤولة د. باوا جين، حيث جرى بحث مجالات التعاون المشترك لحماية الشباب من مخاطر المخدرات.

الأمين العام يستقبل مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون شبه الجزيرة العربية

استقبل معالي الشيخ د. محمد العيسى، في مقر إقامته بواشنطن، مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون شبه الجزيرة العربية السيّد دانيال بينام، الذي أشاد بجهود معاليه في بناء الجسور بين الشعوب والحضارات، كما بحَث الجانبان عددًا من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

د.العيسى يلتقي مدير مركز الأديان في الوكالة الأمريكية الدوْلية للتنمية

استقبل معالي الشيخ د. محمد العيسى، في مقر إقامته بواشنطن، مدير مركز الأديان في الوكالة الأمريكية الدولية للتنمية، السيد آدم فيليبس، وجرى خلال اللقاء بحْث آليات التعاون في عددٍ من المشروعات، واستعراض آفاق العمل المشترك في ظل المتغيّرات الدولية، على المستويين الاقتصادي والصحي.

الأمين العام يستقبل عضو الكونغرس الديموقراطية تيريسا فيرنانديز

استقبل معالي الشيخ د. محمد العيسى في مقر إقامته، بالعاصمة الأمريكية واشنطن، عضو الكونغرس الديموقراطية تيريسا فيرنانديز، التي تشغل منصبًا قياديًا بكتلة مجلس النواب من الأصول الإسبانية، كرئيس اللجنة الفرعية للشعوب الأصلية. جرى خلال اللقاء بحث عددٍ من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك

د.العيسى يلتقي المساعد الأول لوزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى

استقبل معالي الشيخ د. محمد العيسى في مقر إقامته بواشنطن معالي المساعد الأول لوزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى السيد جوي هود، وجرى خلال اللقاء بحث عددٍ من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

الأمين العام يستقبل القيادات الإسلامية الأمريكية؛ من المُفتين والأئمة ورؤساء المراكز

استقبل معالي الشيخ د. محمدالعيسى في مقرِّ إقامته بواشنطن القيادات الإسلامية الأمريكية؛ من المُفتين والأئمة ورؤساء المراكز، حيث جرى بحث موضوعات متعلقة بالشأن الإسلامِيِّ، وتم عقْد اجتماعٍ تحْضيريٍّ حول الاستعدادات لتفعيل مضامين "وثيقة مكة المكرمة" ضمن الأطر المجتمعية والرسمية.

الرابطة تدين المحاولة الإرهابية لاستهداف رئيس الوزراء العراقي

مكة المكرمة:

أدانت رابطة العالم الإسلاميّ بأشد العبارات العمل الإرهابي الفاشل الذي استهدف مقرّ إقامة دولة رئيس مجلس الوزراء في جمهورية العراق الشقيق السيد مصطفى الكاظمي.

وفي بيان صدر عن الأمانة العامة للرابطة في مكة المكرمة، قال الأمين العام للرابطة رئيس هيئة علماء المسلمين معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى: "إن مثل هذه الأعمال الإرهابية التي تستهدف زعزعة استقرار العراق، وضرب أمنه، وإرهاب شعبه مصيرها "بحمد الله" الفشل والخذلان، وسيواصل العراق الكبير والقوي "بعون الله" دحرها والمضي في مسيرة تقدمه وازدهاره وتعزيز لُحمته الوطنية.

وأعرب معاليه، باسم مجامع الرابطة ومجالسها وهيئاتها العالمية عن الوقوف التام مع جمهورية العراق حكومة وشعباً، في مواجهة الإرهاب بكافة أشكاله وصوره، داعيًا الله تعالى أن يحفظ العراق العزيز من كل سوء، ويديم عليه الأمن والاستقرار والازدهار.

وثيقة مكة المكرمة لبناء مجتمع إنساني عالمي

بقلم: د. أحمد عبد القيوم عبد رب النبي

لا تزال الأمّة المسلمة تستحضر في مسيرتها الحضارية ماضياً مشرقاً، وتبني واقعاً واعداً تستشرف به مستقبلاً أفضل، يقدم إسهامًا حقيقيًا وإضافةً نوعيةً في خدمة الإنسانية في مختلف العلوم والمعارف، ليضاف إلى الجهود العظيمة التي تبذل في تجاوز العثرات والعقبات، واحتواء التحديات والأزمات. وتسجل الأمة المسلمة حضورها الإيجابي بين الأمم، وتجاوبها الجاد مع الأحداث والمستجدات في صورة مشاريع

مفيدة، وفعاليات مؤثرة، ومبادرات مميزة، تتقدم بها إلى عالم يئنّ في زحمة الصراع والشقاق، وتهدف إلى نشر الوعي العلمي الصحيح، وصناعة التميز الحضاري، وإظهار الصورة الحقيقية النقية للرسالة الإسلامية التي جاءت رحمة للعالمين.

وفي هذا المقام تميزت المبادرة المباركة التي قدمتها رابطة العالم الإسلامي بمكانتها الإقليمية والدولية، وشعبيتها العالمية، ورمزيتها العلمية والفكرية والروحية، فضلا عن دورها المحوري في مختلف القضايا العالمية، فهي المؤسسة الإسلامية الكبرى التي تحظى بعضوية واحترام الآلاف من العلماء والمفكرين والقادة الدينيين، إضافة إلى رصيدها الوجداني الكبير في قلوب الملايين من المسلمين حول العالم، وتميزها بمنهجها الوسطي الحكيم. وقد توّجت هذه الثقة حين أهدت العالَم من مهبط الوحي ومنبع الرسالة المحمدية وثيقة تاريخية هي (وثيقة مكة المكرمة) التي اعتمدها أكثر من (١٢٠٠) مفتٍ ومرجع وعالم مسلم، إضافة إلى تأييد أكثر من (٤٥٠٠) مفكّر ومسؤول قيادي لها، يمثلون (٢٧) مكونًا إسلاميًا من (١٣٩) دولة من مختلف المذاهب والطوائف الدينية حول العالم. وكان ميلاد الوثيقة في ختام أعمال المؤتمر الإسلامي العالمي الذي دعا إليه معالي الأمين العام الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى - حفظه الله - ونظمته الرابطة في مكة المكرمة- بجوار بيت الله الحرام في شهر رمضان من عام ١٤٤٠هـ بعنوان (قيم الوسطية والاعتدال في نصوص القرآن والسنة). وقد تشرف وفد من المؤتمر بتقديم الوثيقة لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود -حفظه الله وأيده- في استقبال رسمي بهيج، لتحصد بذلك المزيد من علامات التوفيق والتأييد، وتحظى بالاهتمام الرسمي والشعبي على المستوى الإقليمي والعالمي.

إن (وثيقة مكة المكرمة) ليست عملاً مرتجلاً أو استعراضيًا، بل هي خلاصة جهود كبيرة، وعصف ذهني نتجت عن دراسات معمّقة وقراءات متواصلة وأبحاث أكاديمية متقدمة، عبّرت عن وعي مسؤول بضرورة الفعل الحضاري، والعمل الاستراتيجي، للحد من الانتشار الواسع والتسارع المخيف والتزايد المهول لخطاب الكراهية والعداء والتمييز العنصري والتخويف من المسلمين، والإساءة إلى مقدساتهم، واتهام دينهم ووصمه بنعوت سلبية كالتطرف والعنف والإرهاب والانعزال، في تجنّ سافر على أكثر من مليار ونصف من المسلمين، المؤمنين بالتعايش والحوار، فكان هذا الاتهام مدعاة لإجراءات غير متوازنة مع المسلمين ومساجدهم ومؤسساتهم في عدد غير قليل من دول العالم، علاوة على أنه خَرق غير مقبول للمواثيق والاتفاقيات الدولية، الداعية إلى تعزيز الحوار بين الحضارات والثقافات، والتعايش السلمي

بين أتباع الديانات.

هذه الوثيقة المرجعية التي انبثقت عن اجتماع آلاف المفكرين والعلماء من كل دول العالم، هي امتداد لقيم ومبادئ الإسلام العليا التي أسستها (وثيقة المدينة المنورة) المباركة، التي قررها النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود وغيرهم قبل أربعة عشر قرنًا.

ذلك بأن الله تعالى يبعث لهذه الأمّة من يجدد لها أمر دينها، كما ثبت ذلك في الحديث الشريف، فبعد أن انطمسَت معالم قيم الوحي بين الناس، واندرسَت آثارها، ووصل الواقع الاجتماعي والعالمي إلى ما وصل إليه، بعيدًا عن القيم النبيلة، والمُثل العليا، ظهرَت هذه الوثيقة الجامعة التي انبثق نورها بجوار البيت العتيق لتنعكس آثارها الإيجابية على مرآة العالم الإنساني.

جاءت هذه الوثيقة التاريخية الحضارية الاجتماعية المباركة بموادها التي بلغت (٢٩) بندًا، لتكون منطلقًا لتأسيس منظومة تشريعية تساهم في تحقيق الأمن الاجتماعي، وأرضية صلبة تقوم عليها قواعد السلام العالمي، حيث دعَت إلى إرساء قيم التعايش والإخاء والمشترك الإنساني، وتحقيق التقارب والتعارف بين الشعوب ومكونات المجتمع الإنساني كافة، والتأكيد على أن الجماعات المتطرفة لا تمثّل الإسلام، وإنما هي جماعات تصادر الدين وتتاجر به، متجاوزة كافة الجهات والمؤسسات الإسلامية العالمية التي تؤمِن أن المسلمين جزء من هذا العالم، فلا يسع أحدًا التنصل من مسؤولياته أو النكول عن واجباته في التواصل مع كافة مكوناته؛ لتحقيق صالح البشرية، وتعزيز قيمها النبيلة، وبناء جسور المحبة والوئام المجتمعي.

وسعياً من (وثيقة مكة المكرمة) لتحقيق الأهداف السامية للحياة الإنسانية، وتأسيس مجتمعات بشرية تقوم على الأخوّة والتآلف، فإنها تضمّنت مجموعة من المفاهيم الإسلامية المعبّرة عن رؤية أصيلة ومتجددة، مصدرها الوحي الرباني، وأُفُقها الانفتاح الواعي المتوازن على مستجدات العصر ومنجزاته، واستيعاب تطوراته المتلاحقة ومعطياته المتسارعة، والمساهمة في معالجة القضايا المتجددة التي تثير اهتمام الأسرة الدولية، والانخراط في صلب الحركة الإنسانية الواعية، إسهامًا في تعزيز قيم الحوار والتفاهم والتعايش والاحترام المتبادل التي جاء بها الدين الإسلامي، وبشّرت بها الشرائع السماوية، فضلاً عن مواكبتها لمتغيرات الواقع العالمية وتحولاته الاجتماعية.

وتهدف المبادرات التي تضمّنتها (وثيقة مكة المكرمة) إلى تشكيل عهد جديد في التعاون الدولي والإنساني لنشر قيم السلام والأمن والعيش المشترك من منظور إسلامي متشبّث بثوابته الشرعية، ومنفتح على الآخر، في ظل القيم والأخلاق والمصالح المتبادلة، ومبادئ الشرعة الدولية، كما تهدف إلى التخطيط لمرحلة جديدة من العلاقات الإيجابية بين المسلمين وبقية شعوب العالم، مستندة إلى رؤية إستراتيجية كلية نسقية تعتبر الحوار الحضاري أفضل السبل لاستعادة الثقة وبناء جسور التفاهم السوي مع الآخر، وتجاوز معوقات التعايش ومهدداته.

كما تسعى هذه الوثيقة العالمية من خلال رؤيتها الأصيلة والراسخة في الثقافة الإسلامية إلى زرع

روح المحبة والتعاون والتسامح بين مكونات أوطاننا المختلفة، وإقناع الأجيال الصاعدة بأن الصراع والصدام في عالم اليوم صورة مقيتة تفضي إلى نشر الكراهية والعنف، واستنبات العداء بين الأمم والشعوب، ويحول دون تحقيق مطلب العيش المشترك في أمن وسلام.

لذلك جاءت موادها وبنودها بهذه الشمولية والتكاملية واستيعاب مجالات متعددة ومتنوعة، منطلقها: الوحي الإلهي، ومقصدها: تحقيق سعادة الإنسان واحترام كرامته الآدمية وصون حقوقه الإنسانية، وضمان أمنه الأسري والاجتماعي، وتحسين رفاهيته وأحوال معيشته، حيث دعَت إلى سنّ التشريعات الرادعة لمروّجي الكراهية، والمحرضين على العنف والصدام، والتصدي لانتهاك حقوق الإنسان في مفهومها الشامل، ومكافحة الإرهاب والأفكار المتطرفة، ومعالجة الانهيار القيمي والأزمات الأخلاقية والاجتماعية والبيئية التي تعاني منها البشرية. واعتبرت الوثيقة أن الاعتداء على البيئة، والاستهلاك المفرط لمواردها الطبيعية وإهدارها وتلويثها تجاوز واعتداء على حق الأجيال القادمة للعيش في بيئة نقية سليمة، كما دعت إلى تشجيع تعاون العالم الإسلامي مع المجتمع الدولي من خلال التواصل وبناء جسور الاحترام والوئام الإنساني، والتصدي للتمييز العنصري والتعصب الطائفي وسلبيات الكراهية والتخويف غير المبرر من الإسلام (الإسلاموفوبيا).

وتميزت الوثيقة بمساهمتها الفاعلة في الدعوة إلى ترسيخ قيم العدل والسِّلم الاجتماعي، وتعزيز آلية التعايش السعيد والتعامل الحسن بين أتباع الأديان والثقافات، وتوفير مقومات العيش الكريم والحياة الآمنة، وإقرار الاختلاف والتنوع الديني والثقافي في المجتمع الإنساني من خلال إقامة شراكة حضارية إيجابية قوامها الحوار والتفاهم والتعاون والعدل والاحترام المتبادل لخدمة الإنسان وإسعاده، ونشر السكينة في المجتمعات المعاصرة، والضرب على أيدي العابثين ومثيري الفتن والفوضى وحماية الأوطان من إفسادهم وجرائمهم.

كما تؤكد الوثيقة على ضرورة احترام المواطنة الشاملة، والولاء الصادق للوطن، والمحافظة على الأمن، ومكافحة التطرف والإرهاب، ورعاية حمى المحرمات والمقدسات، والتمكين المشروع للمرأة، والحد من تهميشها وامتهان كرامتها، وتفعيل أدوارها في التربية والتنمية المستدامة، والعناية الكاملة بالأطفال صحة وتربية وتعليماً، وتعزيز هوية الشباب المسلم.

إن هذه الوثيقة العالمية باختصار، تعزز أسس ومرتكزات قيم التعايش مع الآخر أيّا كان معتقده وجنسه ولغته وعرقه، مما يسهم في بناء مجتمع إنساني عالمي مشترك، يستوعب القوميات والأعراق والشعوب كافة، ويشيّد أعظم صرح للإنسانية جمعاء: صرح التعارف والاحترام والتعاون والإخاء.

كما ترسخ أسمى القيم الحضارية، وتوضح المبادئ الإنسانية القويمة؛ حيث استبدلت مفهوم الإنسانية القائمة على الوفاق والتعارف والتفاهم مع حفظ الخصوصيات الثقافية والدينية لكل مكونات المجتمع البشري، بمفهوم الفرقة والصراع بين الشعوب والقبائل.

هذه الدلالات والمعاني الإنسانية، والمضامين

والمفاهيم الحضارية والثقافية التي تضمّنتها الوثيقة، جعلتها تحظى بالتقدير البالغ والاهتمام الكبير من قبل الحكومات والقيادات السياسية والدينية، وكذا المؤسسات الرسمية والشعبية وصانعي القرار حول العالم، وكان من أبرزها وآخرها: إقرار بنودها من قبل مجلس وزراء الخارجية في منظمة التعاون الإسلامي في دورته السابعة والأربعين المنعقد في (نيامي عاصمة جمهورية النيجر) في نوفمبر من عام ٢٠٢٠م، حيث أكدت الدول الأعضاء في المنظمة على أهميتها، ودعت المؤسسات الوطنية والإقليمية في العالم الإسلامي إلى بدء العمل بنشر محتوياتها وتنفيذ بنودها، لتوافقها مع المبادئ والأهداف المنصوص عليها في ميثاق منظمة التعاون الإسلامي.

كما حظيت الوثيقة بتتويجها ونيلها جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام (لعام ١٤٤١هـ)، باعتبارها النموذج الأمثل للخطاب الديني المعاصر، وكونها تمثل دستورًا تاريخيًا لتحقيق السلام وحفظ قيم الوسطية والاعتدال.

ومما يؤكد على أهمية هذه الوثيقة في الوقت الحاضر وعالميتها: جامعية مضامينها وبنودها التي تلقي بظلالها على خير الإنسانية ونفعها في كل وقت وتحت أي ظرف دون تمييز أو تفريق، معبّرة عن نظرة الخطاب الإسلامي المستنير لخاصية التنوع البشري، داعية للحوار والتواصل الحضاري، وتكريس ثقافة الأخوة الإنسانية في مواجهة عاديات الشر وأفكار التطرف والكراهية والصدام الحضاري، لتشكّل الوثيقة بذلك ميثاقًا عالميًا لإرساء السِّلم المجتمعي، ونقل البشرية من المعترك إلى المشترك، وهي في الوقت نفسه بمثابة دستور وقانون عام يحمي المجتمعات والأوطان في إطار التسامح والتعايش بين أتباع الأديان والثقافات والأعراق والمذاهب. وتمثّل الوثيقة خارطة طريق لمستقبل الإنسانية وتجانس مكوناتها، وتحدّد بشمولية وبُعد نظر آفاق العمل الإنساني المشترك، خدمةً لعموم الإنسانية، وتحقيقًا لمقصدي العمران البشري، والاستخلاف الإلهي.

من أجل ذلك، لم تكن هذه الوثيقة العالمية خاصة بدين دون آخر، أو مذهب على حساب مذهب، وإنما استوعبت الأديان كلها والشعوب جميعها، وتؤكد -مثل وثيقة المدينة المنورة - أن للآخر ما لنا وعليه ما علينا. فآفاقها واسعة، ورؤيتها بعيدة، وأبعادها متعددة، من أجل صالح الإنسانية قاطبة، ونفع البشرية عامة.

وختاما يمكن القول: إن هذه الوثيقة وُلدت في لحظة تاريخية مناسبة اشتدت فيها حاجة البشرية إلى تحديد المفاهيم، وتوضيح المصطلحات، ووضع الآليات، وتصحيح الرؤى والتوجّهات، وتصميم المسارات بروح الوسطية والاعتدال، لتكون بذلك الوثيقة قاعدة الانطلاق لعصر جديد ترفرف في سمائه رايات الأخوّة والسلام، وتعمّ في أرجائه روح المحبة والوئام، فاستحقت بذلك أن تعدّ (ميثاق الحضارة الإنسانية المعاصرة)، لتُسهم في إنشاء نظام عالمي جديد، ووضع قانون حضاري متكامل، أساسه: الوحي، ومرتكزاته: العدل، والإنصاف، والمساواة، والاحترام المتبادل لحقوق الإنسان، وآفاقه: بناء مجتمع إنساني فاضل تسوده القيم والأخلاق والمبادئ والمُثل، وعالَم يطغى فيه الخير على الشر، وينعم فيه الجميع بالأمن والاستقرار، ويعمّه الرخاء والازدهار.

جهود الرابطة لمواجهة الخوف المتبادل بين الإسلام والغرب

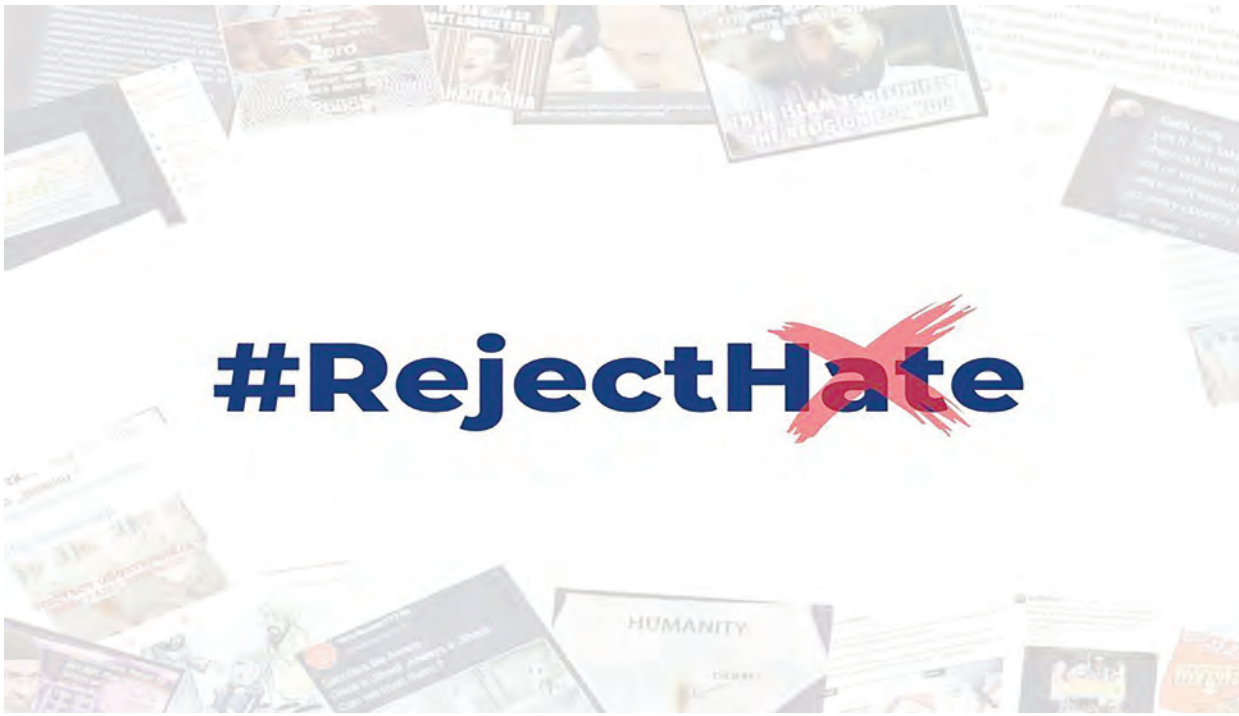

الزبير مهداد ـ المغرب

شهد العالم خلال العقود الثلاثة الأخيرة بالخصوص عدة أحداث بين الثقافات، كشفت عن أزمة في العلاقات الدولية، أدت إلى التقليل من أسباب وشروط إقامة علاقات تتأسس على الاحترام المتبادل، لضمان العيش في أمن وسلام.

الأزمة وسعت الشرخ القائم بين الثقافات، فتصاعد خطاب الكراهية والعنصرية ضد المسلمين في وسائل الإعلام، وبالمقابل قوي خطاب الاحتجاج والتنديد في العواصم الإسلامية. والاختلاف بين الثقافات، ليس جديدًا، ولكنه لم يكن يمنع التواصل ولا الحوار، أما في العصر الحديث، فقد قوي التنافر في وقت ما بين الثقافات، فالبعض من المتشائمين، يرون أن "الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان" حسب المقالة المشهورة. ويرون أنه يستحيل تعايشهما

في إطار علاقة حضارية إنسانية تتأسس على الاحترام المتبادل، لأن الغرب أبان عن عدائه من خلال غزواته واحتلاله لبلاد المسلمين، وأيضا من خلال زرع الكيان الصهيوني في البلاد الإسلامية ودعمه وحمايته، ما أدى إلى ظهور جماعات إسلامية مسلحة، لا تتورع عن اللجوء إلى العنف، لأجل لفت أنظار الغرب إلى ضرورة تغيير سياساته نحو الإسلام والمسلمين.

وفي الغرب أيضا، ظهر تيار شوفيني شعبوي معادٍ للمسلمين، يتهمهم بتقويض الحضارة الغربية، وضرب مصالح شعوبها. ولا يفتأ هذا التيار عن تأليب السياسيين والفاعلين الغربيين ضد الإسلام، وتخويفهم منه، ودعوتهم إلى الحزم في مواجهته، ومعاقبة الدول التي ينتمي إليها "الإرهابيون"، الأمر الذي يثير مزايدات كلامية واستفزازات إعلامية.

والمتطرفون من الجانبين؛ لا يتورعون عن استقطاب الأتباع، بالخطاب المضلل، والإغراء، والتخويف، واستغلال العاطفة الدينية والقومية، للزج بالجميع في صراعات دينية، وترسيخ فكرة الصراع الحضاري، بدل التعايش الحضاري، وكل طائفة ترغب في فرض آرائها ورفض كل رأي مخالف.

المبادرات الدولية

كانت رابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسها داعية حوار، وجهت عناية خاصة لقضايا التعايش الإنساني الذي يتأسس على الحوار الحضاري وقيم التسامح وقبول الاختلاف.

وخلال السنوات الست الأخيرة، في ظل ولاية معالي الأمين العام الدكتور محمد العيسى كثفت الرابطة جهودها وأنشطتها لمواجهة المخاطر التي تعاظم شأنها، والتي تنذر بالصراع وتهدد السلم العالمي.

واصلت الرابطة ما قطعته من خطوات منذ تأسيسها، في مسيرة استتباب الأمن ومحاربة التطرف والتعصب، وأولت الانفتاح والتعايش أهمية خاصة، وصححت الفهم الخاطئ للإسلام والمسلمين، إيمانًا منها بأن ترسيخ التفاهم والتسامح والتعايش هو مسؤولية كل إنسان يقتسم الحياة على هذا الكوكب مع غيره.

وقد أطلقت الرابطة مبادرات دولية، تخدم غاياتها، في تحقيق السلم العالمي والحوار والتفاهم بين الشعوب، منها:

وثيقة مكة المكرمة: أصدرتها الرابطة يوم ٣٠ مايو ٢٠١٩، أثناء انعقاد المؤتمر الدولي حول قيم الوسطية والاعتدال الذي نظمته الرابطة في مكة، والغاية منها الدفاع عن الإسلام في مواجهة الأفكار المتطرفة، والأحكام النمطية الخاطئة؛ وتصحيح المغالطات التي ألصقت بالإسلام. وتنص "الوثيقة" على تأصيل قيم التعايش والحوار بين الأديان والثقافات والمذاهب المختلفة في العالم، وعلى مكافحة الإرهاب والظلم والقهر، والتصدي لكل أسباب الصراع والصدام المفضي إلى نشر وترسيخ الكراهية، واستنبات العداء بين الأمم والشعوب، ويحول دون تحقيق مطلب العيش المشترك في أمن وسلام.

مبادرة الصداقة والتعاون بين الأمم والشعوب.. من أجل عالم أكثرَ تفاهماً وسلاماً، ومجتمعات أكثرَ وئاماً واندماجاً: تفعيلاً لمضامين "وثيقة مكة"، أطلقت الرابطة هذه المبادرة التي ترتكز على المبادئ والقيم الفاضلة المركوزة في جوهر النفس البشرية، والمشتركة بين الأديان والشعوب،

وتتضمن برامج عملية مع شركاء الرابطة حول العالم من جميع أتباع الأديان والثقافات.

مبادرة تحصين الشباب ضد التطرف:

أطلقتها الرابطة خلال مؤتمر دولي نظمته الرابطة في مقر الأمم المتحدة بجنيف يوم ١٩ فبراير ٢٠٢٠م. وتتوسل الخطة لتحقيق غايتها، بالتربية الأسرية والمدرسية والدينية، للتوعية بمخاطر الفكر المتطرف، من خلال مناهج دراسية تفاعلية ترسخ تقدير الاختلاف والحوار والفكر النقدي، وتثمن التعدد الثقافي، لأجل بناء عالم محصن ضد المخاطر الفكرية، كما يعول على الإسهام الهام للخطاب الديني الذي يجب أن ينقى من كل ما يؤجج الصراع والكراهية، ويثير العداء والعنصرية.

حملة التصدي للإسلاموفوبيا:

أطلقتها الرابطة على مختلف المنصات؛ للمطالبة بحظر مروّجي الإسلاموفوبيا والمحتوى المسيء للإسلام. بدأها معالي الأمين العام برسالتين لإدارتَي تويتر وفيس بوك، وما تزال الحملة تحصد المزيد من الإقبال والدعم والتوقيعات منذ إطلاقها.

اتفاقيات عالمية للتعريف بالحضارة الإسلامية:

عقدت الرابطة اتفاقات مع مراكز علمية لإبراز جماليات فنون وثقافة الحضارة الإسلامية، وتتضمن تنفيذ مبادرات تعليمية وثقافية، والتعريف بالسيرة النبوية وجماليات الثقافة الإسلامية بطريقة صحيحة، وتعميق الصداقة والاندماج بين الأقليات الإسلامية ومجتمعاتها، وإبراز ثقافة الحوار والتواصل الحضاري في السيرة النبوية والحضارة الإسلامية.

المؤتمرات

أما المؤتمرات واللقاءات فهي كثيرة، تمحورت أعمالها حول قضايا على جانب كبير من الأهمية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: قيم الأخوة الإنسانية؛ والتواصل الحضاري بين الشعوب؛ وبناء السلم العالمي.

الأخوة الإنسانية لإذابة الخلافات

كانت الدعوة إلى الأخوة الإنسانية حاضرة في أكثر المؤتمرات التي عقدتها الرابطة، أو شاركت فيها، حيث أكدت من خلال خطابات معالي الأمين العام أهمية الأخوة الإنسانية وقدرتها على إذابة الخلافات بين البشر.

وفي مؤتمر الأخوة الإنسانية لتعزيز الأمن والسلام بكرواتيا، زغرب ٨ فبراير ٢٠٢٠م، أكد معاليه في كلمته أن التنوع الإنساني الذي يرتكز على الاحترام المتبادل يصبح "مصدر إثراء كبير وشامل، وقوة عالمنا في ذلك التنوع"، الذي يعزز قوة البلدان ويزيدها مناعة، وتحقيق ذلك رهين بتفعيل قيم المحبة والسماحة والتسامح. والالتفاف حول قيم الأُخوة الإنسانية التي تلغِيُ الحواجز السلبية وتردم فجواتها، وتُسهل الحوار والتفاهم والتعاون، فالإنسانيةُ تمتلك قيماً مشتركة تكفيها لإحلال السلام والوئام في عالم اليوم.

التواصل الحضاري لأجل الحوار

في مؤتمر التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي وأمريكا بنيويورك يوم ١٧ سبتمبر ٢٠١٧م، ذكر معالي الأمين العام في كلمته التوجيهية أن

الاختلاف بين الناس سنة إلهية، فينبغي احترام حق الشعوب في الاختلاف، احترامًا للإرادة الإلهية، "ولا نكره غيرنا على رأينا" كما يجب توظيفه بحكمة ووعي، "لنصل للصواب الذي نريده في أي مجال كان"، "وإلا ستعيش البشرية في صراع دائم". مؤكدًا أن التعايش الحضاري الذي يتأسس على تفهم سنة الله في الاختلاف والتنوع، دون تمييز ديني ولا مذهبي ولا فكري، يخدم المصالح المتبادلة، والإنسانية جمعاء، ويرسخ السلم الاجتماعي والأمن لينعم به كل خلق الله.

وفي كلمته التي ألقاها معالي الأمين العام خلال حفل الافتتاح لمؤتمر التواصل الحضاري بأمريكا، أعلن للمشاركين أن رابطة العالم الإسلامي تحمل رسالة إنسانية عالمية، تدعو فيها للتواصل والتفاهم والتقارب، لخدمة المصالح المتبادلة وخدمة الإنسانية جمعاء، مذكرًا إياهم بأن التواصل الممتد عبر التاريخ بين العالمين الإسلامي والغربي والتبادل بينهما، دليل قوي على بطلان نظرية صراع الحضارات المبنية على إثارة نعرة الكراهية والعنصرية بين الشعوب، وقطع قنوات التواصل والحوار بينها.

بناء السلم العالمي

يحتل السلم العالمي مكانة محورية في برامج الرابطة، ومنذ تأسيسها، كرّست نفسها للعمل على تحقيق رسالة الإسلام، في نشر السلام والعدل، فأقامت المناشط والبرامج والمؤتمرات التي تدافع عن السلام والأمن، وتبني قنوات الحوار والتواصل بين الشعوب، وتعمل على تحقيق التعايش الإيجابي، والتركيز على القيم الإنسانية المشتركة، والتصدي لنظريات الصراع الحضاري. "فأحداث التاريخ التي شهدت بكوارث مفزعة للصراع يجب أن تكون داعية لنظرية تلاقٍ وتواصل وتعاون بل وتحالف الحضارات لا لصراعها"، كما قال معالي الأمين العام في مؤتمر التواصل الحضاري (١٧ سبتمبر ٢٠١٧).

وخلال افتتاح مؤتمر رابطة العالم الإسلامي في غانا (١ يوليو ٢٠١٩)، أكد معالي الدكتور العيسى، أن القيم المشتركة توجه الحياة لتسير في طريق سوي يسعد به الجميع في وئامهم وسلامهم، وفي رقيهم وتنميتهم. وأن السلام العالمي يتأسس حين تسود المحبة والتسامح، مبينًا أن الإسلام عنصر من العناصر المرسخة للسلم العالمي، من خلال تعاليمه التي تربط صحة إيمان الفرد بمحبة الخير للآخرين، مثلما يحب ذلك لنفسه، كما يأمر بالبر والإحسان إلى الآخرين، والعدل مع الجميع أيًا كانت أديانهم وأعراقهم. مؤكداً أن عالم اليوم أحوج ما يكون إلى تفعيل منطقة المشتركات الإنسانية التي يكفي بعضها لإحلال السلام والوئام المنشودِ حول العالم.

الأهداف على مستوى الأفراد

إذا كانت الأهداف العامة المتوخاة من خطط الرابطة وعملها هو إقرار السلم العالمي، وتأسيس العلاقات بين الشعوب على الحوار والتسامح والتعايش، فإن الرابطة قد خططت أيضا لبلوغ أهداف إجرائية دقيقة على مستوى الأفراد. وأهم هدفين تحرص عليهما الرابطة، هما: تحقيق المواطنة الدامجة، وتحصين الأفراد.

المواطنة الدامجة

تميز العصر الحديث بالحدود المفتوحة بين الدول للتبادل الاقتصادي والثقافي، فاستوطنت أعداد كبيرة من المسلمين بلدان الغرب الأوروبي وأمريكا، فتشكلت جاليات إسلامية، وانتقلت العلاقة بين

الإسلام والغرب من التجاور إلى التداخل. وهذا الأمر ترتبت عنه نتائج مختلفة متضاربة أحيانًا، فإقامة الجاليات في الغرب، جلبت كثيرًا من المنافع للطرفين، إلا أن مؤشرات العنصرية والعزلة أخذت تظهر للملاحظين، وتهدد سلامة استقرار وأمن الجاليات.

لذلك دعا معالي الأمين العام في مؤتمر الأخوة الإنسانية في زغرب، إلى ضرورة تعزيز الجهود من الطرفين في سبيل إدماج الجاليات في البلدان الحاضنة، من طرف الحكومات التي يجب عليها فك كل أشكال العزلة عن الجاليات لإدماجها.

لقطع الطريق أمام كل الأطراف والتنظيمات التي تحاول استغلال عزلة الجاليات، ومن طرف الجاليات التي عليها احترام قوانين ودساتير الدول التي يستوطنونها، واحترام مؤسساتها التي تدير الشأن العام، لأن المطالبة باحترام الخصوصية الدينية للمسلمين يجب أن تتم وفق الضوابط والإجراءات القانونية، وتفادي الانجرار وراء الدعوات التي تفرض عليهم الارتباط بتنظيمات أو دول خارجية، تحاول التغلغل والتسرب من خلال عدة منافذ، أهمها تمويل الأنشطة الدينية واستيراد الفتوى والأفكار الدينية خارج ظرفيتها المكانية، فلكل بلد صيغتَهُ الدينية الاجتهادية التي تناسب ظرفيته الخاصة.

التحصين

تبذل الرابطة جهودًا كبيرةً لإيضاح حقيقة الإسلام ومحاربة الأفكار المتطرفة والإرهابية، وتتوجه نحو الجاليات الإسلامية في بلدان الغرب، لتعزيز وعيها الديني والفكري، لضمان فهمها السليم للدين، وتصحيح الافتراءات التي ألصقت بالإسلام، وحمايتها من كل من يحاول استغلاله لتحقيق أغراض سياسية، لا تخدم الإسلام ولا مصالح الجاليات، ولا الأمن والاستقرار العالمي. وتتواصل الرابطة مع الجميع: الجاليات وحكومات الدول الحاضنة لأجل الإسهام في نشر قيم الاعتدال والتسامح والسلام، وضمان حماية حقوق المسلمين التي تكفلها الدساتير والقوانين. وتدعو الرابطة إلى تعزيز دور الأسرة والجهات المسؤولة عن تربية النشء قصد "إيجاد البرامج الفعالة لتعزيز دور الأسرة في صياغة عقلية الأطفال وصغار الشباب صياغة سليمة، وإيجاد البرامج الفعالة، وبناء الشراكات المتعددة لدعم الوئام الديني والثقافي والإثني في دول التنوع".

كما أن الخطاب الديني عليه أن يوفر المعلومة الصحيحة عن الدين، لمحاربة الفهم الخاطئ أو التأويل السلبي المتعمد، حيث أكد معالي الأمين العام في مؤتمر زغرب أنه "من المهم ألا يقتصر قادة الأديان على مخاطبة الروح والعاطفة فحسب، بل عليهم أن يخاطبوا المنطق والواقع، ليُسهموا بفاعلية في سلام عالمهم ووئام مجتمعاتهم".

خلاصة

إن الرابطة تنظر إلى موضوع التعايش نظرة شمولية، وذكية، وتعي أن مواجهة الفكر المتطرف والإرهاب، وموجات العنصرية والإسلاموفوبيا، تستدعي تبني مقاربة تعتمد على المسؤولية المشتركة بين الجميع، والمعرفة الحقيقية بالآخر، والاشتغال على المشترك الإنساني بين الثقافات، مع العناية بالتواصل الثقافي بين الشعوب، والتبادل المعرفي المؤسس على الحوار المتبادل بين الأمم، وهو شرط، وتصحيح المفهومات الخاطئة لدى المواطنين ومحاربة التطرف، وتمتين العلاقات الدولية وتقويتها، لترسيخ الأمن الذي يحقق التنمية والاستقرار والتقدم للبشرية جمعاء.

علم المستقبليات والتخطيط أساس للتنمية

بقلم :الدكتور إبراهيم نويري
كاتب و باحث أكاديمي ـ الجزائر

هل يصحّ في الواقع المنظور ما يقال عنّا نحن العرب والمسلمين، عن كوننا قد تعوّدنا على أن نزاول أعمالنا دون تخطيط أو دراسة مسبقة واعية محكمة؟ وأن كلّ ما نأتيه من أعمال إنما نأتيه بطريقة تلقائية فوضوية؟ إذا كان ذلك صحيحًا والتهمة ثابتة: فهل الحل العتيد والأسلوب الرشيد يكمن في ضرورة أن نتعلم وننسج على منوال غيرنا من أصحاب المناهج والتجارب الرائدة أو الناجحة في الحياة، عملًا بالحديث النبوي الشريف القائل: "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها"، أم أنه يجب المحافظة على الأسلوب الذي تعودنا عليه، وترسخ في أنماط وأساليب التعامل عندنا وتوارثته الأجيال عن بعضها؟

الجواب على هذا التساؤل الخطير: أنه يتوجب على أي أمة لها رسالة في الحياة، وتتطلع إلى الإسهام بشرف وفخر في مسار الإنسانية ومنجزاتها التاريخية والحضارية؛ وقبل ذلك يهمها وجودها الحقيقي الفاعل، المرتبط ارتباطًا وثيقًا بأهداف رسالتها وتطلعات أجيالها، أقول يتوجب على أي أمة هذه صفتها، وتلك تطلعاتها، أن تترك الفوضى والتلقائية في كلّ شؤونها ومناشطها لأنهما لا يسوقان ولا يفضيان إلى نتائج إيجابية فيما تأتيه من أعمال أو فيما تبذله من جهود، بل لا بد من التخطيط لكل عمل أو مشروع تتصدى لإنجازه، حتى ترتقي إلى مستوى القيام بالمهام العظمى والأعمال الكبيرة والمنازل الجليلة. كما أن التخطيط لما نقوم به من أعمال يجعلنا – إلى جانب الإدراك السليم لحاضرنا – أكثر فهمًا وتحكمًا في مستقبلنا؛ إذ من شأن التخطيط ومن مهامه الرئيسية أن يبيّن لنا أين كنا، وأين نحن الآن، وإلى أيّ المواقع نريد أن نصل وكيف ولماذا؟

التخطيط والتنمية:

التخطيط في أبسط تعريفاته يعني عملية تحديد احتياجات العمل أو الواقع الفردي أو الجماعي، بوضع أفضل الطرق والأساليب بغية الاستجابة لتلك الاحتياجات، أو هو عملية تحديد الأهداف بدقة وواقعية في ضوء الإمكانات المتاحة، مع ضبط الوسائل التي من شأنها أن تفضي إلى تجسيد تلك الأهداف المرسومة سلفًا.

إن المفهوم العام للتخطيط مرتبط بوضع آليات ومناهج مضبوطة للمشروع أو العمل المزمع إنجازه، لا فرق في ذلك بين الأعمال الفردية التي لا تغيب عن واقع كلّ واحد منا، وبين الأعمال الكبرى الحاضرة في مناشط الأمم والدول. ومما لا شك فيه أنه كلما كانت الآليات والمناهج أكثر دقة وعلمية توافرت للعمل ظروف النجاح والإثمار المرجو، والعكس كذلك صحيح. من هنا ينبغي أن يكون التشديد مركزًا والإلحاح صارخًا على ضرورة التخطيط بدقة وعناية لكل عمل نقوم به أو نشرف على تحقيقه ومتابعته، ولا سيما إذا كانت نتائج هذا العمل ذات ارتباط حيوي بمصير الأمة ومستقبلها وتطلعاتها وآمالها. لقد صدق كل الصدق الحكيم الذي نصح صديقه بقوله: "إذا أنت فشلتَ في التخطيط تكون قد خططت للفشل".

يقول المفكر السعودي الدكتور محمود سفر في كتابه الرائع (ثقب في جدار التخلف): "لقد أصبح التخطيط ضرورة من ضرورات الحياة في المجتمعات النامية، لأنه وسيلة هذه المجتمعات للتعرّف على مواقع أقدامها من منجزات الحضارة المعاصرة، وبالتالي وضع الاستراتيجيات والبرامج والخطط كي تلحق تلك المجتمعات بركب الحضارة والتقدم في مختلف جوانب حياتها". كما يؤكد المختصون في هذا المجال على أن التنمية لا تنبع من فراغ لأنها ليست ذات طبيعة سحرية أو هلامية، وإنما لا بد من توافر الشروط والإمكانات الضرورية لحصولها أو لبدء الخطوة الأولى من مسارها الطويل، لكن ليس هناك من شك في أن التخطيط يأتي في مقدمة تلك الشروط، بمعنى أن تكون له أولوية في الوعي، ليس فقط من حيث الاهتمام به كوسيلة في تحقيق التنمية، بل من حيث ترتيب الإمكانات المتاحة وتفعيلها واستثمارها أيضاً على الوجه المطلوب، وكذا باعتبار كونه آلية مستمرة وأداة معيارية ثابتة، فهو لا يواكب مراحل الإنجاز وحسب، بل إننا نظل بحاجة ماسة إليه دومًا حتى بعد إنجاز العمل. أليست التنمية ذاتها تقوم على ربط الأعمال وتكامل المنجزات بعضها ببعض، ومحاولة القيام بعملية تقييم وتقويم مستبصرة تربط بين المقدمات والنتائج سعيًا خلف التأكد من النجاح الذي تمّ التخطيط له مسبقا؟!

علاقة التخطيط بالمستقبل:

لقد بات من البداهة القول بأن التغيير الاجتماعي والتطور العام في واقع حراك أي بلد في العالم، أو داخل نسيج أي أمة من الأمم يحتاج إلى تفكير متوازن وإحاطة بمتطلبات كلّ مرحلة من أجل التحكم العلمي والمنهجي في عملية التغيير والتطور الطبيعي الذي تفرضه صيرورة الحياة نفسها. وهذا الشأن له ارتباط وثيق بوزن القدرة على إمكانية توجيه هذه العملية الوجهة التي من شأنها أن تؤدي إلى تحقيق أهداف وغايات ورغائب المجتمع والدولة والأمة، إذ إن حسن التحكم في عملية التغيير الاجتماعي والتطور العام في الحياة، هو الأمر ذاته الذي أطلقنا عليه مصطلح "التخطيط". وبما أن عملية التغيير هذه أكثر التحامًا بطموحات المستقبل، فلا بد أن تكون العلاقة بين التخطيط والمستقبل علاقة وثيقة وطردية وليست مجرد علاقة تأثير وتأثر بين طرفي معادلة من أهم وأخطر معادلات الحركة الاجتماعية.

إذ من البداهة التذكير بكون الدراسات المستقبلية تُعنى بتتبع مسار مختلف الانعكاسات والتفاعلات والتوقعات في المستقبل في ضوء استخلاص واستنتاج ما يمكن أن يتقرر، وذلك باستخدام "التخطيط" كأداة أو وسيلة للوصول إلى إدراك مدى حقيقة وواقعية تلك الانعكاسات والتفاعلات، مع ضرورة إخضاعه – أي التخطيط – للمراقبة والتعديل خلال خطواته النظرية المرحلية للوصول إلى الغرض المسطر أو المعلن. علمًا أنه لا يوجد أي إشكال شرعي أو فقهي في هذه المسألة، بل إن التكليف نفسه قائم على أساس العمل للمستقبل وإعمار هذا المستقبل بجليل الأعمال. يقول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون" (الحشر، ١٨). فهذه الآية الكريمة تحث على التخطيط والإعداد لمستقبل المؤمن في دار الخلود، وكأن القرآن يؤكد على أن إدراك الفلاح في تلك الدار لن يتحقق إلا بالنجاح في هذه الدار، وليس هناك من نجاح دون تخطيط ومتابعة ومراجعة ونقد وتعديل وتقويم وإصرار على النجاح وقطف ثماره.

كما أن السنة النبوية الشريفة تحث على هذا الأمر وتعدّه من المسالك الراشدة بل الواجبة، كما في قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت "إذا هممت بأمر فتدبّر عاقبته، فإن كان رشدًا فامضه، وإن كان غيّا فانته عنه". وكذلك آثار الصحابة الكرام كما في قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم".

إن ضرورة الدراسات المستقبلية تنبع أساسًا من الحاجة إلى التحسّب لأي مفاجآت قد يحملها المستقبل من خلال تجربة الماضي والحاضر والإمكانات المتاحة والعمليات أو العناصر التي تتسبب في تغير المجتمع أو تؤثر في الواقع. وبنظرة أكثر نفاذًا واستبصارًا يصبح مجال الاختيار لصور المستقبل المتعددة أرحب وتكلفته أقل، فيضحى مثلاً باستطاعة الدول النامية من خلال نتائج الدراسات المستقبلية أن تختار نوعًا من التقنية تتواءم مع متطلباتها دون أن يكون لها آثار سلبية على منظومة القيم وشبكة العلاقات الاجتماعية وتلوث البيئة. ففي واقع الدول النامية فرصة واسعة لإيجاد تنمية متوازنة في مجال حاجات الريف والحضر على حد سواء، إلى غير ذلك من الوسائل التي يمكن عن طريقها تلافي الآثار السلبية للتقدم والنمو في شتى مجالات الحياة.

ونحن عند التأمل ندرك بأن المطلوب والمرجو من

الدراسات المستقبلية لا يتجاوز ثلاثة أدوار هي:

أولا: تحديد نقطة البدء والنهاية وذلك عبر الإجابة عن هذين السؤالين: من أين نبدأ؟ وإلى أين ننتهي؟ شرط أن تكون كل الطموحات مستبطنة بين هاتين النقطتين.

ثانيا: تحديد مسارات واضحة يمكن الاختيار منها تمهيدًا لوضع خطط مرحلية للوصول إلى الهدف، وهذا أمر متوقف على العلم والخبرة المتوفرة.

ثالثا: تعميق البحوث والدراسات المتخصصة لجعل الغرض من التنمية ليس مقصورًا فقط على العلم والتكنولوجيا والتقانة المتقدمة، بل أن يكون غرضًا شاملًا، متمثلًا في منهج علمي رصين يعيد صياغة تفكيرنا وحكمنا على الأشياء، ويرسم حاضرنا من خلال التشوّف لمستقبل أفضل أكثر إغراءً وحيوية وجذبًا لبذل الوسع وتحقيق الإعمار الذي هو أحد أهم مقاصد الاستخلاف في الأرض. وليس هنالك من ريب في أن أمر علاقة التخطيط بعلم المستقبل لكي ينتهي بنا إلى المأمول من النتائج يجب أن تتوفر أيضًا الجوانب الأخرى الضرورية من هذه المعادلة، التي قوامها المشروعات والأعمال القابلة للتجسيد في الواقع، ذلك أن هذه العلاقة لا تقبل التجريد ولا تتأسس على العموميات الفضفاضة، أو المعطيات الرجراجة، بل على الموازنة العلمية الدقيقة بين الإمكان والطموح أو القدرات والتشوّفات.

آمالنا المستقبلية:

لا يمكن لأي كائن بشري عاقل أن لا تكون له آمال وطموحات يودّ تحقيقها وتجسيدها في الواقع الماثل سواء في الحاضر أو في المستقبل، فهذه إحدى السنن الثابتة في الحياة والأحياء. وهذه الآمال تسكن ضمائر الأفراد كما تسكن ضمائر الجماعات والدول والأمم.

ونحن أمة إسلامية، تمثل قوة بشرية هي ربع سكان المعمورة، لنا رسالة حضارية قائمة على عقيدة مشرقة خالدة أدت دورًا أساسيًا في مسار الإنسانية، لنا طموحات وآمال وغايات كبرى نصبو إلى تحقيقها، كغيرنا من الأمم، وهي طموحات كثيرة متنوعة: كالوحدة والتنمية والنهوض الحضاري، واجتثاث التخلف، واحتلال المكانة المشّرفة بين أمم هذه المعمورة. يقول الشيخ الغزالي في مقدمة كتابه (الطريق من هنا): "تخلف العالم الإسلامي قضية معروفة وإن كانت مخجلة، وهذا التخلف أطمعَ الأقوياء فيه، بل لقد طمع فيه حتى من لا يحسن الدفاع عن نفسه. ولست ألوم أحدًا استهان بنا أو ساءَ ظنه بديننا، ما دمنا نحن المسؤولين الأوائل عن هذا البلاء... إن القطيع السائب لا بد أن تفترسه الذئاب...".

إنه ليس أمامنا من طريق لتحقيق آمالنا وطموحاتنا المستقبلية إلا بنهج هذا السبيل: سبيل العلم والتخطيط وعبقرية الاستفادة من تجارب الغير وفق مناهج دقيقة حاسمة مستبصرة، كما أن عنصر حسن التصرف في الإمكانات المتاحة وجدية استثمارها وتوظيفها في خدمة الأهداف والآمال الكبرى يمكن أن يكون عنصرًا فاعلًا في وضع الأقدام على عتبة التغيير الحقيقي والاستنهاض المرتقب المأمول.

ويظل التساؤل مطروحًا بتوتر وإلحاح شديدين: هل سننجح كأمة وأيضا كأفراد وجماعات وهيئات ومؤسسات في الوعي بهذه الحقيقة، فنجعل من التخطيط علمًا وسبيلًا للتنمية والتغيير والاستنهاض، فنقوي من انتمائنا لطموحاتنا وأهدافنا، خدمة لوجودنا ورسالتنا وأوطاننا ومستقبلنا؟

١٨ ديسمبر اليوم العالمي للّغة العربية

المعجم التاريخي للغة العربية

الإنجاز الذي انتظرته الأوساط الثقافية العربية

إعداد: توفيق محمد نصر الله

أعلن حاكم الشارقة الشيخ سلطان القاسمي في حفل افتتاح الدورة الأربعين لمعرض الشارقة الدولي للكتاب، عن صدور الأجزاء الخمسة الأولى من المعجم التاريخي للُّغة العربية. والمعجم عبارة عن ديوانٍ يضمّ جميع ألفاظ اللغة العربية، ويبيِّن أساليبها، ويوضح تاريخ استعمالها أو إهمالها، وتطوّر دلالاتها ومبانيها عبر العصور، ويُعنى بذكر الشّواهد ومصادرها مع التّوثيق العلمي لكل مصدر.

وقال الشيخ القاسمي في كلمته التي أوردتها صحيفة الشرق الأوسط: "هنيئاً للعرب، وهنيئا

للناطقين بالضاد في كل مكان، إنجاز هذا المعجم التاريخي الذي يؤرخ للعربية الضاربة في أعماق التاريخ. بعد جهود مضنية بذلها المخلصون من أبناء اللغة العربية من العلماء والباحثين والأكاديميين من المجامع اللغوية العربية كافة، ها نحن نشهد ميلاد المعجم العملاق الذي سيفتح أبواباً للباحثين وطلاب العلم".

ويُذكر أن هذا العمل الضخم شاركت فيه مؤسسات ومجامع ومراكز لغوية في كل الوطن العربي، تحت مظلة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالقاهرة، وكان لمجمع اللغة العربية بالشارقة دور التنسيق الإداري والمالي لهذه الجهود العلمية الحثيثة.

وسبق كلمة الشيخ سلطان القاسمي عرض فيلم قصير مرئي عن تاريخ ومحاولة إنجاز المعجم التاريخي منذ عام ١٩٣٢م في عهد الملك فاروق الأول، حينما أصدر مرسوماً لتأسيس المجمع العربي للغة العربية في القاهرة، لكن المشروع الكبير تعثر بسبب ضخامة التراث العربي، والتكلفة المادية الباهظة، وحجم المشروع الذي يمتد من الفترة التاريخية التي تسبق العصر الإسلامي، تقريباً من فترة قبائل عاد وثمود ولغات أهل جديس وطسم وحمير، مروراً بالتراث والأشعار الجاهلية، وتوالي العصور الإسلامية، وصولاً إلى العصر الحديث. وحال دون الشروع الفعلي في العمل وجود عوائق أخرى، منها الحرب العالمية الثانية، وحرب ١٩٤٨، وشح الموارد، وعدم الجدية في المضي قدماً بمشروع عملاق كهذا.

ومن المعروف أن اللغات العالمية الأخرى قد أنجزت معاجمها التاريخية، مثل الفرنسية والإنجليزية والسويدية والألمانية وغيرها، وظل المشروع العربي

"يرى النور بأجزائه الخمسة ويؤرخ لمفردات لغة الضاد وتحولات استخدامها عبر IV قرناً

"شارك في إنجاز المعجم عشرة مجامع عربية وتولى مجمع اللغة العربية بالشارقة إدارة لجنته التنفيذية

يراوح مكانه بسبب نقص التخطيط ومزالق وضخامة المشروع وفداحة التكاليف المادية، حيث تعددت المحاولات منذ عهد المستشرق الألماني فيشر، ومنذ تأسيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وأطلق حاكم إمارة الشارقة الدكتور القاسمي الموقع الرسمي على الشبكة العنكبوتية العالمية لهذا المعجم اللغوي التاريخي، والذي سيكون في متناول الجميع: (www.almojam.org).

ويستطيع كل باحث في موقعه أن يطلع على ما أنجز في هذا المعجم، ويبحث عن الكلمات والنصوص التي يريد، ويتصفح المجلدات المنجزة، ويبحث عن الجذور والمداخل، بالإضافة إلى إمكانية تصفُّح المدونة، وما تحويه من كتب وعناوين اعتُمد عليها لإعداد الأجزاء الأولى من المعجم، وأسماء المحررين والخبراء ورؤساء المجامع اللغوية العربية. كما خُصص تطبيق إلكتروني للمعجم التاريخي، بحيث يكون في مُتناول أصحاب الهواتف الذكية واللوحات الرقمية.

المعجم نتاج جهود مؤسسات ومجامع ومراكز لغوية في كل أقطار الوطن العربي تحت مظلة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالقاهرة

تتميز المنصة الرقمية للمعجم بسهولة الحصول على المعلومة واسترجاع النصوص وإظهار النتائج

وتغطي مجلدات المعجم الأولى الأحرف الخمسة الأولى (الهمزة، والباء، والتاء، والثاء، والجيم)، حيث تقدم تاريخ المفردات في السياق الذي وردت فيه في عصر ما قبل الإسلام على ألسنة الشعراء الجاهليين، مروراً بالعصر الإسلامي، وتتبع اللفظ في النص القرآني، والحديث النبوي الشريف، مروراً بالشعر الأموي، فالعباسي، حتى تصل إلى العصر الحديث، وترصد حركة الألفاظ.

ويشكل المعجم، إلى جانب أنه يبحث ويوثق لمفردات اللغة العربية، مكتبة إلكترونية ضخمة، مكونة من أمهات كتب اللغة والأدب والشعر والفلسفة والمعارف العلمية المتنوعة، تمكن الباحثين والقراء، بعد الانتهاء من مراحل إعداده كاملة، من الوصول إلى آلاف الكتب والمصادر والوثائق التي يُعرض بعضها إلكترونياً للمرة الأولى في تاريخ المحتوى المعرفي العربي.

ويختص المعجم بتوضيح معلومات رئيسية، وهي تاريخ الألفاظ العربية، حيث يبحث عن تاريخ الكلمة من حيث جذرها، وعن جميع الألفاظ المشتقة منها وتقلباتها الصوتية، ويقوم بتتبّع تاريخ الكلمة الواحدة، ورصد المستعمل الأول لها منذ الجاهلية إلى العصر الحديث، مركّزًا على الاستعمال الحي للغة؛ أي أنه يختلف عن سائر المعاجم السابقة بأنه يستشهد بالنصوص الحية، قرآناً وحديثاً وشعراً وخطباً ورسائل وغيرها. ويكشف المعجم تطور المصطلحات عبر العصور، ويرصد تاريخ دخول الكلمات الجديدة المستحدثة في اللغة المستعملة، والكلمات التي اندثرت وزالت من قاموس الاستعمال، مع ذكر الأسباب المؤثرة في ذلك. إلى جانب ذلك يعرض المعجم تاريخ نشأة العلوم والفنون، إذ يبحث في علوم اللسان العربي عن جميع العلوم التي نشأت تحت ظل البحوث اللغوية، قديماً وحديثاً، من نحو وصرف وفقه لغة ولسانيات وصوتيات وعلوم البلاغة والعروض وغيرها، ويتوقف عند المصطلحات التي ولدت ونشأت من تلك العلوم. كما يقدم موازنات بين الألفاظ في اللغة العربية وما انحدر منها في اللغة العبرية والأكدية والسريانية والحبشية وغيرها. وفي هذا المجال، تم تكليف لجنة متخصصة برصد أوجه الشبه والاختلاف بين الألفاظ العربية وما يقابلها في تلك اللغات، وذكر الشواهد الحية التي تدل على ذلك، مع توثيق للمصادر والكتب التي أُخذت منها.

يشار إلى أن المنصة الرقمية التي تم إعدادها لإنجاز المعجم تتميز بسهولة البحث، وسرعة الحصول على المعلومة، واسترجاع النصوص، وإظهار النتائج في سياقاتها التاريخية، إضافة إلى أنها تشتمل على قارئ آلي للنصوص المصورة.

قالوا عن المعجم

عقد مجمع اللغة العربية بالشارقة ضمن فعاليات الدورة الأربعين من "معرض الشارقة الدولي للكتاب" جلسة حوارية تحت عنوان "خصائص المعجم التاريخي وميزاته"، أوردتها وكالة أنباء الإمارات. واستضافت الجلسة الدكتور عبد الستار الشيخ، مؤلف وخبير لغوي في المعجم التاريخي، والدكتور إدريس عتيه، أستاذ مشارك في الجامعة القاسمية في الشارقة. وخَلُصت الجلسة الحوارية إلى أن "المعجم التاريخي أكبر إنجاز ثقافي في هذا القرن، واللغة العربية ما بعده لن تكون كما كانت قبله".

واعتبر الدكتور إدريس عتيه أن المعجم التاريخي يعدّ تحولاً حقيقياً في حياة اللغة العربية وإعادة تدوينها، مشيراً إلى أنّ هذا الإنجاز قد طال انتظاره وإن تأخّر العرب في تحقيقه، فذلك يعود لأسباب متعددة، أبرزها أن العرب كانوا سبّاقين إلى المعاجم العامة، لذا غاب المعجم التاريخي المتخصص حينها.

وقال إن اللغة العربية لغة هائلة من حيث العمر وعدد المفردات، وهذا يعدّ حائلاً دون إنجاز هذا المشروع سابقًا، إلى جانب أن اللغة العربية نشأت في أحضان البادية، ما جعل تقفّي مفرداتها ليس بالشيء اليسير، وأيضاً غياب الإرادة المؤسسية والجماعية، بالإضافة إلى جدار الهيبة والخوف من خوض هذا المشروع العملاق، وهو ما استطاع صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، أن يحقق به إنجازاً كبيراً ورائعاً سيخدم لغتنا أيّما خدمة.

وتوقف الدكتور إدريس عتيه عند المنهج الذي اعتمده المعجم في إنجاز أجزائه قائلاً: إن هناك ثلاثة أركان أساسية لمنهج المعجم التاريخي: الركن الأول هو اللغة، والثاني هو الحضارة، والثالث هو التاريخ. فالمنهجية إذن تعتمد على مدوّنة غنيّة ومتنوعة من فسيفساء الثقافة والحضارة العربية وعلومها، إلى جانب العلوم الشرعية والعقلية والفلسفية، حتى بات معجماً إحيائياً من شأنه أن يحيي اللغة العربية.

وحول إفادة القارئ من هذا المعجم التاريخي قال الدكتور إدريس عتيه: إن أول إفادة للقارئ تكمن في أن أي لغة لا يوجد لها معجم تاريخي هي لغة حلقاتها ليست موصولة، ولذا فإن الأهمية تكمن في أنّ الأكاديمي والطالب والمثقف على حدٍ سواء سيجد في المعجم التاريخي ضالته. وهذا ما قاد إلى أن تصبح اللغة العربية لغة موسومة وموثّقة بفضل هذا المعجم.

بدوره شدّد الدكتور عبد الستار الشيخ على أنّ المعجم التاريخي يتناول المصطلحات والمفردات العلمية والأدبية، ومختلف الفنون والعلوم، وهذا من أبرز خصائصه، وقال إن المعجم يعتني بكل المصطلحات أيّما عناية، فالكلمة فيه لا تمرّ على مختص واحد فقط، إنما تمرّ على خمسة على الأقل، فيقوم المحرر بالتحرير ليراجع خبير، تلي ذلك مرحلة التدقيق، ومن ثم لجنة علمية تراجع مرة أخرى، وصولاً إلى المراجعة النهائية، والهدف من وراء ذلك هو الوصول إلى أفضل النتائج.

واختتم الدكتور عبد الستار الشيخ الجلسة بالتأكيد على أنّ العام القادم سيشهد إصدار المزيد من المجلدات، ليعدّ بذلك المعجم التاريخي أكبر إنجاز ثقافي في هذا القرن.

١٨ ديسمبر اليوم العالمي للّغة العربية

اللغة العربية

والتواصل الحضاري

بقلم: علاء الدين محمد الهدوي فوتنزي

جمهورية الهند

هناك يومٌ عالميٌّ حددته الأمم المتحدة للاحتفاء باللغة العربية، يصادف ١٨ ديسمبر من كل عام. يسلط هذا اليوم الضوء على تراث اللغة ومساهمتها للإنسانية، كما يمثّل اليوم فرصة للنظر في حالة ومستقبل إحدى اللغات الأكثر انتشارًا في العالم. وتنتهز العديد من الجهات الفاعلة هذا اليوم لتنظيم الأنشطة المتعلقة بموضوعه. والموضوع الذي وقع عليه الاختيار لهذا العام ٢٠٢١م هو "اللغة العربية والتواصل الحضاري"، ويُعتبر بمثابة نداء للتأكيد مجدداً على الدور الهام الذي تؤدّيه اللغة العربية في مدّ جسور التواصل بين الناس على صهوة الثقافة والعلم والأدب وغيرها من المجالات.

ويكتسب موضوع عام ٢٠٢١م أهمية بالغة في كنف المجتمعات التي تتعاظم فيها العولمة والرقمنة والتعددية اللغوية، ويسلم بالطبيعة المتغيرة للعالم، والحاجة الماسة لتعزيز الحوار بين الأمم والشعوب.

بدأ الاهتمام العالمي الخاص باللغة العربية في منتصف القرن الماضي، وبالتحديد في عام ١٩٤٨م، في الوقت الذي قررت فيه منظمة اليونسكو أن تعتمد اللغة العربية بعد اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، لتأتي في الترتيب الثالث بين لغاتها الرسمية. وفي عام ١٩٦٠ م جرى الاعتراف بأن اللغة العربية لها دور بارز في جعل المنشورات على المستوى العالمي مؤثرة.

وفي سنة ١٩٧٤م انعقد أول مؤتمر في منظمة اليونسكو باللغة العربية، وجاء ذلك بناءً على بعض المقترحات التي تبنتها الكثير من دول شمال إفريقيا والشرق الأوسط، وانتهى المؤتمر باعتراف مستحق باللغة العربية كواحدة من اللغات العالمية في المؤتمرات الدولية.

ويسعى اليوم العالمي للغة العربية إلى إبراز الإسهام المعرفي والفكري والعلمي لهذه اللغة وأعلامها في مختلف مناحي المعرفة البشرية عبر التاريخ. فالحضارة العربية الإسلامية لها إسهامات مشهودة في مختلف مناحي العلوم والمعرفة والآداب والفنون، ويعود إليها الفضل الأكبر في النهضة الأوروبية، ثم الثورة الصناعية التي كرّست قيادة الغرب للعالم. كما يرمي اليوم العالمي للغة العربية إلى التأكيد على مركزية هذه اللغة التي تعد من أوسع اللغات انتشارًا، فعدد المتحدثين بها يتجاوز ٤٢٠ مليون نسمة في البلاد العربية، كما أنها اللغة المعتمدة لدى عدد من الكنائس المسيحية في المشرق، وكُتب بها جزءٌ مهمٌّ من

التراث الثقافي والديني اليهودي.

وفيما يخص موضوع هذا العام أو (ثيمة) الاحتفال السنوي، فإنه يبرز الدور التاريخي الذي تضطلع به اللغة العربية في استحداث المعارف وتناقلها، فضلا عن كونها وسيلة للارتقاء بالحوار وإرساء أسس السلام. وكانت اللغة العربية على مرّ القرون الركيزة المشتركة وحلقة الوصل التي تجسّد ثراء الوجود الإنساني، وتتيح الانتفاع بالعديد من الموارد.

وهذا الدور لم ينقطع على مرّ الزمن، ولكنه في بعض العصور المتقدمة كان أعظم أثراً على المستوى العالمي، حتى إنها كانت لغة العلم العالمي دون منازع، وذلك بفضل ما توصلت إليه الحضارة الإسلامية من أسباب التقدم والرقي.

ويجدر بالذكر أنّ اللغات تتداخل وتتلاقح كلما اتصلت إحداها بالأخرى، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأن أي لغة من اللغات في العالم كما تؤثر في غيرها فإنها أيضا تتأثر. ويرى عالم اللغة الفرنسي جوزيف فندريس أن تطور اللغة مستمر في معزل عن كل تأثير خارجي، وأن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرًا ما يؤدي دورًا مهمًّا في التطور اللغوي، ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، ويؤدي حتمًا إلى تداخلها أو (تصاقبها) كما يعبر العالم المعروف أبو الفتح عثمان بن جني، صاحب الخصائص.

ويقول المستشرق، إرنست رينان، في كتابه تاريخ اللغات السامية "إن انتشار اللغة العربية ليعتبر من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلها؛ فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدت فجأة على غاية الكمال، سلسة غاية السلاسة، غنية أي غنى، وإن اللغة العربية – ولا جدال – قد عمت أجزاء كبرى من العالم".

ومن الجلي أن التواصل الحضاري واللغوي قد أدّى إلى دخول الآلاف من الكلمات العربية إلى اللغات الأجنبية، وتنوعت تلك الألفاظ ما بين علمية وأدبية، إلى جانب ألفاظ تتعلق بأمور المعيشة، بل والمصطلحات العلمية أيضاً، وقد ذكر ابن سينا الكثير من العقاقير التي دخلت في علم النبات وعلم الصيدلة عند الأوروبيين، وظل الكثير منها بأسمائها العربية في اللغات الأجنبية، كعنبر والزعفران والكافور والتمر الهندي وعود الند والحشيش والمسك والصندل وغيرها، وقد سجل الأستاذ ويسلر في كتابه "الحضارة العربية" الكلمات العربية التي دخلت متن اللغات الأوروبية.

ويقول رينالدي عن تأثير اللغة العربية في اللغة الإيطالية: "لقد ترك المسلمون عددًا عظيماً من كلماتهم في اللغة الصقلية والإيطالية، وانتقل كثير من الكلمات الصقلية التي من أصل عربي إلى اللغة الإيطالية، ثم تداخلت في اللغة العربية الفصحى، ولم تكن الكلمات فقط هي التي دخلت إيطاليا وإنما تسربت أيضًا بعض جداول من الدم العربي في الجالية العربية، التي نقلها معه إلى مدينة لوشيرا الملك فريدريك الثاني، ولا يزال الجزء الأعظم من الكلمات العربية الباقية في لغتنا الإيطالية التي تفوق الحصر دخلت اللغة بطريق المدنية لا بطريق الاستعمار، وإن وجود هذه الكلمات في اللغة الإيطالية يشهد بما كان للمدنية العربية من نفوذ عظيم في العالم المسيحي".

ومن الواضح أن اللغة العربية لها أهمية كبيرة ومكانة مرموقة بين اللغات العالمية، وتعتبر اللغة الوحيدة الحية على وجه الأرض، وعلى اختلاف بين الباحثين حول عمر هذه اللغة لا نجد شكًا في أن العربية التي نستخدمها اليوم أمضت ما يزيد

على ألف وستمائة سنة، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظها حتى يرث الله الأرض ومن عليها، إذ يقول الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

ومنذ عصور الإسلام الأولى انتشرت العربية في معظم أرجاء المعمورة، وبلغت ما بلغه الإسلام، وارتبطت بحياة المسلمين، فأصبحت لغة العلم والأدب والسياسة والحضارة، فضلا عن كونها لغة الدين والعبادة. لقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب الحضارات المختلفة، الفارسية واليونانية والهندية المعاصرة لها في ذلك الوقت، وأن تجعل منها حضارة واحدة، عالمية المنزع، إنسانية الرؤية، وذلك لأول مرّة في التاريخ. ففي ظل القرآن الكريم أصبحت اللغة العربية لغة عالمية واللغة الأم لبلاد كثيرة.

وجدير بالذكر أن أهمية اللغة العربية تنبع من نواحٍ عدّة؛ أهمها: ارتباطها الوثيق بالدين الإسلامي والقرآن الكريم. فقد اصطفى الله هذه اللغة من بين لغات العالم لتكون لغة كتابه العظيم، ولتنزل بها الرسالة الخاتمة ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون﴾. كما تتجلى أهمية العربية في أنها المفتاح إلى الثقافة الإسلامية والعربية، ذلك أنها تتيح لمتعلمها الاطلاع على كم حضاري وفكري لأمّة تربعت على عرش الدنيا عدّة قرون، وخلفت إرثًا حضاريًا ضخمًا في مختلف الفنون وشتى العلوم. وتنبع أهمية العربية في أنها من أقوى الروابط والصلات بين المسلمين، ذلك أن اللغة من أهم مقومات الوحدة بين المجتمعات. فالعربية لم تعد لغةً خاصة بالعرب وحدهم، بل أضحت لغةً عالميةً يطلبها ملايين المسلمين في العالم اليوم؛ لارتباطها بدينهم وثقافتهم الإسلامية. بل صار غير المسلمين يطلبون تعلم اللغة العربية سبيلاً للتفوق المهني في الدبلوماسية والتجارة وتبادل المنافع، فضلاً عن السياحة وغير ذلك.

وكانت مجلة الرابطة قد نشرت حوارًا مع البروفيسور عبد المجيد الطيب، مؤلف كتاب منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة، وقد أثبت في دراسته أن العربية لها من السمات والخصائص والمؤهلات ما يضعها في مقدمة اللغات الإنسانية. وأوصى الطيب بأن يتولى بنوها ما تستحقه من اهتمام وما هي جديرة به من احترام. فهي وجدان الأمة وضميرها الحي وعقلها الذي به تفكر. فإن أرادت هذه الأمة أن تحقق وحدتها وتعزز سيادتها وتستكمل نهضتها، فلا سبيل لها لأن تنجز ذلك إلا من خلال تقوية لسانها العربي المبين، وإعلاء شأنه بين العالمين.

وربما يرى البعض أن اللغة العربية رغم ثرائها وقوتها الذاتية تسجل تراجعًا بين المتكلمين بها. ولا شك أن تحديات كثيرة أثّرت وتؤثر سلبًا عليها وعلى مكانتها، وتتنوع آراء الباحثين والمهتمين حول أسباب هذا التراجع، خاصة بين أبناء الجيل الجديد، فهناك من يرى أنها أزمة خاصة بأصل اللغة وعدم مواكبتها المستجدات العالمية، وهناك من يجزم أنها لا هذا ولا ذاك، بل هي أزمة جيل انسلخ عن ثقافته لصالح ثقافات أخرى. وفي تقديري أن السبب الثاني هو الصحيح، فعلينا أن نتمسك بهويتنا وبلغة الضاد، لغتنا العربية سيدة اللغات، فيها من الجمال والإبداع ما يجعلها بحر البيان والبلاغة، ويكفيها فخرًا وشرفًا أنها وسعت كتاب الله عز وجل لفظًا وغاية. إنها بحق منارة الإبداع والتألق والجمال، وصدق أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

إن الذي ملأ اللغات محاسنًا

جعل الجمال وسره في الضاد

١٨ ديسمبر اليوم العالمي للّغة العربية

الحجْر الصحّي والحجر اللّغوي

بقلم: أ. د. محمود الذوادي ـ تونس

تتمثل العلاقة السليمة مع اللغات الوطنية أو لغات الأم في استعمال أي منهما فقط شفويًا وكتابيًا في كل شيء. فالمجتمعات الأوروبية مثلا، تدرس جميع المواد العلمية وغيرها بلغاتها الوطنية حتى نهاية مرحلة التعليم الثانوي على الأقل. أي أن طبيعة الأشياء تنادي بصوت عال باستعمال لغة الأم أو اللغة الوطنية وأن استعمال غيرهما أمر غير طبيعي.

الحجر الصحي والحجر اللغوي

في هذا السياق اللغوي، نود طرح فكرة التشابه بين ظاهرتين لا يكاد يفكر أحد في تشابه بينهما ناهيك عن الاعتقاد في ذلك بقوة. فمصطلح (الحِجر الصحي) أصبح عالمي الاستعمال منذ تفشي فيروس كوفيد ١٩ في جميع البلدان ابتداءً من مطلع سنة ٢٠٢٠. فللوقاية والحد من جائحة كورونا لجأت المجتمعات إلى تبني سياسة الحجر الصحي الذي يتمثل في إنقاص الاختلاط بين الناس واستعمالهم البروتوكولات الصحية كلباس الكمامات والابتعاد الاجتماعي. أما مفهومنا لـ(الحجر اللغوي) فهو يشبه نظيره الصحي، إذ إنه يدعو إلى الوقاية من التدريس بغير اللغة الوطنية أو اللغة الأم في التعليم في جميع مراحل التعليم الابتدائية والإعدادية والثانوية على الأقل. لأن التدريس بلغة أجنبية في تلك المراحل يُعتبر (فيروسا) مضرًا يضر باللغة الوطنية أو لغة الأم، كما سنرى.

الحجر اللغوي والعلاقة مع العربية

نذكر مثالًا للعلاقة السليمة أو المعوجة التي ينشئها الحجر اللغوي أو فقدانه مع اللغة العربية في المجتمع التونسي بعد الاستقلال، أن بعض خريجي التعليم التونسي مثال للآثار الإيجابية للحجر اللغوي على العلاقة مع اللغة العربية/الوطنية. لقد درس هؤلاء الخريجون كل المواد باللغة العربية فقط من المرحلة الابتدائية حتى السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية. تشير الملاحظات الميدانية أنهم أكثر خريجي المدارس التونسية بعد الاستقلال تعاطفًا وحماسة مع استعمال اللغة العربية. فهم لغويًا أكثر وطنية من بقية الخريجين التونسيين. ومن ثم، فمن الواجب عندهم أن تكون للغة العربية المكانة الأولى في الاستعمال والاعتزاز بها والدفاع عنها.

أما خريجو بقية التعليم التونسي - وهم اليوم أغلبية المتعلمين التونسيين- فهم فاقدون للحجر اللغوي، أي أنهم درسوا باللغة الفرنسية بعض المواد أو معظمها في تلك المراحل المذكورة.

١- هيمنت اللغة الفرنسية في أغلب المدارس

وسيلة لتدريس التلاميذ التونسيين المواد المختلفة بما فيها تدريسهم أحيانًا حتى النحو العربي باللغة الفرنسية خاصة من طرف بعض المُدرسين الفرنسيين.

٢- همّشت مدارس البعثات الفرنسية بطريقة شبه كاملة تدريس اللغة العربية وثقافتها واستعمالهما. ويمثل الخريجون عينة تونسية مرشحة أكثر من غيرها لتبني ثنائية لغوية؛ يكاد يغيب فيها استعمال الكلمات العربية لأن هؤلاء الخريجين هم شبه أميين بالكامل في اللغة العربية. فبحوث العلوم الاجتماعية ترى أن مثل ذلك التكوين اللغوي الثقافي الفرنسي يُحدث غربة جسيمة بين المتعلمات والمتعلمين ولغتهم وثقافتهم العربيتين فترتبك لديهم وتتشوه تصوراتهم الصحيحة إزاء لغتهم وثقافتهم بحيث يصبحون مرشحين للنظر إليهما بقليل أو بكثير أو ما بينهما من التحقير. ترى تلك العلوم أنه من المنتظر أن يُحدث مثل هذا التكوين اللغوي الثقافي الأجنبي المهيمن تشويشًا وتصدعًا في الانتساب للهوية العربية الإسلامية بدرجات مختلفة للخريجين التونسيين. يجوز القول إن التعليم في كل من مدارس البعثات الفرنسية هو تعليم مرشح بقوة لكي يمهد لقبول وحتى الترحيب بالاستعمار اللغوي الثقافي الفرنسي، ويعود ذلك أساسًا إلى فقدان خريجي تلك المدارس إلى ما سميناه أعلاه الحجر اللغوي.

٣- أما النظام التربوي بشكل عام منذ الاستقلال، فقد كرّس ويكرّس تواصل فقدان الحجر اللغوي. وهكذا، فالأجيال المتعلمة منذ الاستقلال هي أجيال لم تطبق الحجر اللغوي ومن ثم يستمر مرض فيروس عدوى استعمال اللغات الأجنبية بين معظم فئات المجتمع التونسي. ومما يزيد الطين بلة في اتجاه معاكس للحجر اللغوي أن التلاميذ يدرسون اليوم أسبوعيًا اللغة الفرنسية لمدة ٨ ساعات و٦ ساعات للغة العربية.

العهد البورقيبي وغياب الحجر اللغوي

إن ما يجمع بين شخصيات العهد البورقيبي ومعظم المتعلمين التونسيين هو تعليمهم الثنائي اللغة لصالح لغة المستعمر على حساب اللغة الوطنية: تعليم فاقد للحجر اللغوي. وهكذا، فموقف الأغلبية اليوم يساند نظام التعليم ثنائي اللغة ويعتبر إيجابيات هذا النظام التعليمي مسلمة من المسلمات غير قابلة للمساءلة والشك في أفضليتها. بينما قليل من الوعي والتفكير من طرف هؤلاء ينسف ركائز تلك المسلمة فيفضح معالم بطلانها. مثلا، كيف يعقل أن يقع الاعتقاد إيجابيًا في ذلك التعليم الثنائي اللغة والحال أن عددًا ضخمًا من خريجيه ليست لهم علاقة سليمة مع اللغة العربية لغتهم الوطنية التي طالما يعتبرونها نفسيا وفي الاستعمال في شؤونهم الشخصية والمجتمعية وكأنها لغة ثانية أو ثالثة. فالتعليم ثنائي اللغة لا يكاد يحمي المواطن من معالم الاستلاب اللغوي، كما سنرى في آخر هذه السطور. فخريجو المدرسة الصادقية الثنائية اللغوية ونظراؤهم المتعلمون في المدارس والمعاهد والجامعات التونسية في عهد الاستقلال لم يسلموا من معالم الاستلاب اللغوي بسبب فقدانهم لنظام تعليم يكون فيه الحجر اللغوي هو الأساس الطبيعي كما تفعل أنظمة التعليم في المجتمعات المتقدمة على الخصوص.

احترام المجتمعات للغاتها

لا تكاد تُحصى أمثلةُ المجتمعات المتقدمة التي تُستعمل فيها اللغات الوطنية أو لغات الأم وحدها في كل شيء. فالوطنية اللغوية في مقاطعة كيباك الناطقة بالفرنسية في كندا جعلت استعمال اللغة الفرنسية في الكتابة أمرًا إجباريًا في كل شؤون الحياة في المقاطعة. على سبيل المثال، تُمنع كتابةُ كلمة (وقوف) باللغة الإنجليزية (سطوب) في الشوارع والطرقات

وتُكتب بالكلمة الفرنسية فقط (أراي).

اللغة الوطنية وتقدم الشعب علميًا

كما أكدنا، فالعلاقة الطبيعية/السليمة مع اللغة الوطنية تتطلّب استعمالها في كل الميادين بما فيها تدريس العلوم. فمثل هذه السياسة اللغوية لا تخدم تطبيع العلاقة مع اللغة العربية فقط في المجتمع وإنما تخدم أيضا نهضة العلم في هذا المجتمع. يقول رأي ونتائج بحوث الكثيرين إن البلدان تحتاج إلى تعليم العلوم باللغة الوطنية أو لغة الأم كي ترسي الأساس الضروري لما يسمى البيئة المنتجة للعلم. أي أن البيئة الاجتماعية المساندة لإنتاج العلم هي تلك التي ينتشر فيها العلم بين عامة الناس ولا يقتصر على النخبة فقط. وبالتعبير السوسيولوجي، يُكتب للعلم بأن يصبح ظاهرة اجتماعية واسعة لمّا ينسجم العلم مع الثقافة العامة للمجتمع ويتفاعل معها أفقيا. ويعني ذلك أن تعزيز العلم في أي بلد يتوقف كثيرًا على مدى انفتاح الثقافة العامة على العلم. ووفقًا لرؤية علم الاجتماع، فذلك مستحيل ما لم تكن لغة العلم والثقافة العامة لغة واحدة. أي أن استعمال الفرنسية، كما ينادي به البعض في تعليم العلوم في المدارس التونسية يعرقل انتشار ثقافة علمية لدى أغلبية التونسيات والتونسيين الناطقين بالدارجة التونسية التي تهيمن فيها الكلمات العربية.

السلبيات النفسية والثقافية لغياب الحجر اللغوي

يشخص مؤلف كتاب العقل العربي ١٩٨٣ رفاييل بتاي آثار التعليم ثنائي اللغة (استعمال لغتين كوسيلتيْ تدريس)، فوجد أن التعليم ثنائي اللغة يؤدي عمومًا إلى الأعراض التالية لدى خريجيه:

١ ـ الانتماء إلى ثقافتين دون القدرة على تعريف الذات بالانتماء الكامل لأي منهما.

٢ ـ التذبذب المزدوج: رغبتهم كسب علاقة حميمة كاملة مع الغرب ومع مجتمعهم في نفس الوقت دون النجاح في أي منهما.

٣ ـ يتصف خريجو ذلك التعليم بشخصية منفصمة ناجّة عن معايشة عاملين قويين متعاكسين: الارتباط بالثقافة العربية والانجذاب إلى الثقافة الغربية.

٤ ـ عداء سافر للاستعمار الفرنسي يقابله ترحيب كبير بلغته وثقافته.

التخلي عن العربية = الاستعمار اللاحق

يُقسم الاستعمار إلى صنفين:

١- الاستعمار الرسمي: الاحتلال العسكري والإدارة العسكرية والحكم السياسي.

٢- الاستعمار اللاحق يأتي بعد زوال الاستعمار الرسمي مثل استعمال من كانوا مستعمَرين لغة المستعمِر وتفضيلها على اللغة الوطنية. المؤكد أن دعاة الطلاق بين العربية وتدريس العلوم ينتمون إلى الاستعمار اللاحق. قد يجادل هؤلاء وغيرهم أن الكثيرين من التونسيين خارج نظام الحجر اللغوي يتقنون اللغة العربية مثل خريجي المدرسة الصادقية وهذا صحيح. لكن الإتقان لا يعني بالضرورة وجود علاقة سليمة مع اللغة الوطنية (استعمالها وحدها شفويًا وكتابة في كل شيء والدفاع عنها والاعتزاز بها قبل أي لغة أخرى). هل تدل السلوكيات اللغوية التالية لهؤلاء على صداقة قوية مع لغتهم الوطنية؟:

١- يكتب معظم شيكاتهم البنكية بالفرنسية.

٢- تنطق أغلبيتهم الأرقام بالفرنسية.

٣- لا يكاد يحتج أحد على اللافتات المكتوبة بالفرنسية فقط.

١٨ ديسمبر اليوم العالمي للّغة العربية

الإعراب مع الله

أدب النحاة والبلاغيين في القرآن

بقلم: صبغة الله الهدوي
الباحث في الأزهر الشريف، قسم البلاغة والنقد

يروى أن الإمام سيبويه رحمه الله عالم النحو الجليل رُؤي في المنام بعد موته فقيل له ماذا فعل الله بك يا إمام؟ قال غفر لي وأدخلني الجنة... قيل: بِمَ؟ قال: لأنني لما وصلت باب المعارف ووصلت إلى لفظ الجلالة الله قلت في كتابي "الكتاب": الله أعرف المعارف لا يعرَّف. وعلى افتراض صحة الرواية، ففيها أدب مع الله سبحانه لا يخطر على بال أحد، وكان بإمكانه أن يصرف اللفظ لكنه أدرك هذا الأدب من حيث لا يدري كثير من الناس، فلو قيل إن أعرف المعارف الضمير فالمراد هو بعد لفظ الجلالة إجماعًا.

فالحديث عن أدب النحاة مع الله والقرآن الكريم حديث ذو شجون، كانوا لا يجترئون على وضع أي اصطلاح فيه شوب استكبار واستخفاف بحق الله، فلا يقولون في قوله تعالى: "خُلق الإنسان من عجل" إنه فعل مجهول مبني على الضم، بل يقولون فعل لم يسم فاعله لما أن فاعله معروف، وحتى عدم ذكره صريحًا يدل على صراحته فإن الصمت في حرم الجمال جمال، أو أن السكوت في معرض البيان بيان، ولا يقولون إن في القرآن زيادة حرف أو كلمة، بل يعبرون عنها إنها صلة ورابطة، جاءت لتؤكد المعنى وتقوي دلالته، فمثلا في قوله تعالى: "ليس كمثله شيء"، أو "لا أقسم بهذا البلد" أو "لا أقسم بيوم القيامة"، "هل من خالق غير الله"، لا يقولون إن الكاف زائدة ولا اللام زائدة ولا من زائدة بل كلها صلة ورابطة، بل لكل حرف من حروف القرآن زيادة معنى وتأكيد دلالة كما هي، تتجلى بوضوح في واو الثمانية في قوله تعالى: "وثامنهم كلبهم"، وفي ألف العزة في قوله تعالى "وعباد الرحمن"، وفي ياء الذلة في قوله تعالى "وما أنا بظلام للعبيد".

إنهم لا يقولون إن في القرآن تجاهل العارف مثلًا في قوله تعالى: "فما تلك بيمينك يا موسى"، أو "وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين"، بل يعبرون عنه كما وضعه السكاكي رحمه الله إنه "سوق المعلوم مساق المجهول" أو "مساق غيره"، حيث قال: "ولا أحب تسميته بالتجاهل"، لأن التجاهل مستحيل في حق الله تعالى.

ولا يقولون في قوله تعالى: "واتقوا الله ويعلمكم الله" إن الله نُصب على أنه مفعول به بل نصب على التعظيم والهيبة إكرامًا

وإجلالاً بلفظ الجلالة التي يعلو ولا يعلى عليه.

يحكي الشيخ محمد الغزالي في مذكراته: سألني مدرس النحو وأنا طالب في المرحلة الابتدائية قائلاً: أعرب يا ولد "رأيت الله أكبرَ كلِّ شيء"؟ فقلت على عجل: رأيتُ: فعل وفاعل، والله منصوب على التعظيم! وحدثت ضجة من الطلبة، ونظرت مذعورًا إلى الأستاذ، فرأيت عينيه تذرفان بالدموع! كان الرجل من القلوب الخاشعة، وقد هزّه أني التزمت الاحترام مع لفظ الجلالة كما علموني، فلم أقل إنه مفعول أول، ودمعت عيناه تأدُّباً مع الله! كان ذلك من ستين سنة أو يزيد... رحمه الله وأجزل مثوبته.

وإن أعربوا كلامه تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم" أو "ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها" قالوا إنه طلب أو دعاء وليس أمر الذي فيه نكهة العلو والاستعلاء والله هو العلي القدير. وفي قوله تعالى: "ليقض علينا ربك" إنه لام الدعاء وليس لام أمر كما يقولون في قوله تعالى "لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا"، إنه لام دعاء لا لام نهي الذي فيه شوب العلو والاستعلاء.

فبخصوص السجع المعروف عند الشعراء يعني توافق الفاصلتين في الحرف الآخر قالوا إنه لم يكُ سجعٌ في القرآن الكريم وإنما فيه الفواصل لأن السجع من شيم الكهانة، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم "أسَجعٌ كسجع الكهانة"، كما قالوا ثم إن الفواصل تتبع المعاني حتى عدَّه الرماني وجهًا من وجوه الإعجاز، بينما السجع عبارة عن التكلف والتعسف كما كان مسيلمة الكذاب يعارض القرآن بكلمات مسجوعة فيها تكلف وتعسف، وكان يجر الألفاظ جرًا.

وأما بخصوص باب التصغير قالوا "لا يجوز تصغير أسماء الله الحسنى، لأن ما كان لله عظيم حسن جميل". وقال ابن هشام أن نقول في (من) الموصولة إنها للعالم بدلاً من العاقل لأنها تأتي ويراد به الرب تعالى والرب لا يقال عنه عاقل كما في قوله تعالى: أأمنتم من في السماء، فلا تقول من للعاقل في هذا المحل لأن الله لا يوصف بالعقل والله يوصف بالعلم.

فلو قيل لك ما المراد بالكتاب إذا قيل مطلقًا أهو كتاب سيبويه المعروف بقرآن النحو والذي أصبح علمًا بالغلبة كما احتجه ابن عقيل في شرحه لألفية بن مالك شاهدًا لبيت "وقد يصير عَلَمًا بالغلبة مضافًا أو مصحوب أل كالعقبة"، أم هو كتاب الله الذي قال الله فيه: "ذلك الكتاب لا ريب فيه"، ففي ذلك يقول الآثاري في خاتمة ألفيته تحت عنوان خاتمة الفصول "وحيثما قيل الكتاب انهض إليه كتاب ربي لا كتاب سيبويه".

ولا يخفى أن هناك مدرستين في النحو، مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة، لكل منهما آراء خاصة بهما، فمن تلك الآراء التي اختصت بها مدرسة الكوفة والتي تدل على أدب مع الله قولهم في "أفعل التعجب" إذ قالوا أفعل التعجب اسم حتى يصغر كالأسماء ولو كان فعلا لأوهم إساءة الأدب في حق الله في قولهم ما أعظم الله والتقدير شيء أعظم الله.

فمن العلماء الذين انبروا لهذه القضية ابن هشام والطبري والآثاري وابن مالك والأزهري تنبيهًا إلى العظمة والإجلال مع الله.

تاريخ المسلمين في ريسيفي بدولة

البرازيل

تواصل مع مجلة الرابطة الشيخ خالد رزق تقي الدين، رئيس المجلس الأعلى للأئمة والشؤون الإسلامية في البرازيل، وأفاد بمعلومات عن مدينة ريسيفي بدولة البرازيل.

تعريف موجز عن ريسيفي:

ريسيفي هي عاصمة ولاية "بيرنامبوكو"، وتعد أقدم عاصمة لدولة البرازيل، وتقع في شمال شرق البرازيل. تأسست المدينة عام ١٥٧٣م، ويقطنها حاليًا ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف نسمة، وتأتي بالترتيب الخامس في قائمة الاقتصاد البرازيلي، ونظراً لأهميتها الاقتصادية للمنطقة فقد تم تسميتها عاصمة الشمال الشرقي.

كلمة ريسيفي تعني "الشراع" في البرتغالية، باعتبارها المرفأ الذي يربط قرية أوليندا والمحيط

الأطلسي، وقد ساهم الهولنديون في بناء المدينة، وأقاموا فيها الجسور الجميلة والمدن الرائعة، مثل مدينة "أوليندا" التي أعلنت موقعاً للإرث العالمي من قبل اليونسكو عام ١٩٨٢، وتم إطلاق لقب "بندقية البرازيل" على مدينة ريسيفي.

الحضور الإسلامي في المدينة:

يعود الحضور الإسلامي في المدينة لوصول المستعبدين الأفارقة المسلمين الذين كانوا يستخدمون من قبل البرتغاليين في البناء والزراعة، وكانت لهم آثار واضحة ساهمت في النمو الاقتصادي والزراعي وبناء حضارة البرازيل في الملابس والأكل والزراعة والصناعة والعادات والتقاليد.

وقد تصدى مسلمو المدينة لتحرير أنفسهم من العبودية ونشر قيم الدين الإسلامي في المجتمع البرازيلي، وقاموا بثورات كان آخرها عام ١٨٣٥م، والتي سميت "ثورة الماليز"، أو "ثورة العبيد"، والتي تعامل معها البرتغاليون بمنتهى القسوة، فأعدموا المشايخ والعلماء، وأعادوا العديد منهم إلى إفريقيا، وشتتوا الأسر المسلمة بين الولايات البرازيلية المختلفة.

عام ١٨٦٧م زار البرازيل الشيخ عبدالرحمن البغدادي بدعوة من مسلمي تلك المدينة، حيث كان هؤلاء المسلمون متمسكين بدينهم، وكتب كتابًا عنهم سماه "مسلية الغريب بكل أمر عجيب". يقول البغدادي في كتابه: "ثم سافرت من أبائيه إلى مدينة مارنيوكوا لرغبة المسلمين الذين بها فيَّ وطلبهم إياي، وهي بلدة أشد حرًا من البلاد الأخرى، وعرضها ثماني درجات من خط الاستواء، والشمس لو طلعت دائمًا لأحرقت السكان، ولكن من حكم الواحد المنان دائما تُوجد الأمطار، ولا يخلو يوم عن مطر، وإذا لم تكن فالغيم يكون، وكنت في دار عالية مرتفعة لأجل الهواء، ومع ذلك أغتسل كل يوم مراراً بالماء البارد. وفي هذه البلدة جسر من الحديد فوق خليج مديد طوله نحو ميل وعرضه نحو خمسة عشر ذراعاً، وهو أعجوبة للرائي، وكافة الأهالي لا يتعاطون الأعمال في النهار، والذين يتعاطون المصالح السُّودان لأنهم لهم تحمل على شدة الحرارة، والبيضان بخلاف ذلك، وجميع الأهالي تجار عظام، وعندهم الفابريقات، ولهم معرفة شديدة بالصناعات، وفي هذه البلدة عدة حصون وقلاع واستحكامات".

أحوال المسلمين في المدينة:

يضيف الشيخ عبدالرحمن البغدادي "ورأيت المسلمين في مارنيوكوا أشد نباهة وفطانة من أهل البلاد الأول، "يقصد ريو دي جانيرو"، ففرحت بذلك، ويقتدون برجلين الواحد اسمه يوسف حديث السن ونبيه جدًا، والثاني اسمه سليمان بعكسه حتى ما صدق في رجوع رمضان الذي أعلنا به "روي جنيروا" ورددناه لوقته الصحيح، ولم يزل يصوم شعبان، وله قوم به يقتدون وعلى اتباعه يلازمون، وأحواله في الصلاة والصيام كأحوال الذين قبلهم، ولهم ميل شديد لعلم الأوفاق وضرب الرمال أو "الزاير جاتو"، بسبب ذلك تسترهم أقل من البلاد الأول لأن النصارى يعتقدون عليهم غاية الاعتقاد، ويصدقونهم فيما يظهرونه من الإيراد، ويعطونهم الأموال، ويعدون خواطرهم في جميع الأحوال، مع أنهم لا يعرفون مما يدعونه إلا الاسم، ولكن يصادف

معهم بعض الأوقات القضاء والقدر فينسبونه لفعلهم ولما أحكموه من أمرهم، وفي مدة ستة أشهر ظهر فيهم أهلية أحسن من الذين فارقوني في طوال مدتي".

المدة القصيرة التي أقامها الشيخ عبدالرحمن البغدادي بين أهل ريسيفي مكنتهم من المحافظة على عقيدتهم، ولكن سرعان ما لبث الشيخ أن غادر البرازيل على وعد أن يعود إليها مرة أخرى، وهو الأمر الذي لم يحدث لأسباب غير معروفة تحتاج لمزيد من الدراسة، ولم تلبث تلك الجالية كثيرًا حتى ذابت في المجتمع البرازيلي، وفقدنا هؤلاء المسلمين.

في بداية الثمانينيات من القرن الفارط، بدأ بعض المسلمين في التوافد على تلك المدينة من البلاد العربية والإسلامية بغرض التجارة. وفي بداية التسعينيات توجه وفد ضم الحاج حسين محمد الزغبي رئيس اتحاد المؤسسات الإسلامية، رحمه الله، والشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، وفضيلة الشيخ مبروك الصاوي، الذي تعاقد مع رابطة العالم الإسلامي في تلك الفترة لزيارة مدينة "ريسيفي" لدعم وجود المسلمين فيها.

وعلى يد هذا الوفد تأسس المركز الإسلامي في ريسيفي، إذ التقى الوفد برئيس البلدية الذي منح الجالية المسلمة قطعة أرض في وسط مدينة "ريسيفي"، بمساحة تقدر بـ" ثلاثة عشر ألف متر مربع"، لإقامة المركز الإسلامي عليها، غير أن المسلمين لم يستغلوا تلك الفرصة وفقدوا حق الانتفاع بقطعة الأرض لوجود مدة محددة للبناء.

على إثر ذلك قام المسلمون بشراء بيت ليكون مقرًا للمركز الإسلامي، ويوجد المقر في منطقة غير آمنة، مما يكون سببًا في إغلاقه يوميًا مع حلول الثالثة عصرًا. ويقوم المركز مع ضعف إمكاناته المادية للتعريف بالإسلام واستقبال الكثير من المدارس والجامعات والدارسين الذين يعشقون التعرف على الدين الإسلامي الحنيف.

ولإمام المركز الشيخ مبروك الصاوي، مبعوث رابطة العالم الإسلامي، جهد مبارك، حيث أسلم على يديه الكثير من البرازيليين، ويقوم بتوعيتهم وتربيتهم على المبادئ الإسلامية. وقام بتأليف الكتب الإسلامية بأسلوب يتناسب مع الواقع البرازيلي باللغة البرتغالية، وبلغت مؤلفاته ثمانية كتب، تناولت جوانب الشريعة الإسلامية المختلفة. وتطوع الشيخ مبروك بتكلفة طباعة هذه الكتب لوجه الله، وقد عاد فضيلته إلى مصر بعد تقاعده، ويدير المركز الآن مجموعة من الإخوة البرازيليين ممن اعتنقوا الإسلام، وهم بحاجة لدعم المؤسسات الإسلامية داخل البرازيل وخارجها، فالمركز بحاجة ماسة لأن ينتقل إلى مكان آخر يكون رمزًا للإسلام وحافزًا للبرازيليين للتعرف على شعائر هذا الدين، ويكون لائقًا لاستقبال المسلمين من البلاد العربية والإسلامية.

ولعل المركز يستنهض همم أهل الخير ومحبي نشر الإسلام في الحرص على المساهمة في تقوية ظهر المسلمين في تلك المدينة، وألا يتركوه عرضة للذوبان مرة أخرى، كما حدث معهم فيما سبق، والعمل على تثبيت العقيدة الإسلامية في نفوسهم، فهذا حق المسلمين عليهم.

الإسلام في الغرب
والحاجة إلى إعلام مقاصدي

د. التجاني بولعوالي
كلية الإلهيات والدراسات الدينية
جامعة لوفان - بلجيكا

إن تغطية الإسلام في أوروبا والغرب لا سيما من قبل المسلمين أنفسهم تحتاج إلى إعادة النظر. كما تقتضي العمل على صياغة إطار نظري ومنهجي فيما يتعلق بالتعامل مع ظاهرة الإعلام الجديد بمختلف تمظهراتها الفضائية والرقمية والتكنولوجية والتواصلية.

عندما نتفحص واقعنا اليومي يبدو وكأن الإعلام أصبح كل شيء في عصرنا الحالي، الذي ينعت بعصر العولمة والثورة الرقمية وما بعد الحداثة، بل وجاءت أزمة كورونا لتعزز هذه الفرضية. إن الإعلام بشتى تجلياته وآلياته أصبح اليوم أكثر تغلغلًا في حياة الفرد والمجتمع. لم يعد الإعلام يشكل السلطة الرابعة كما أطلق عليه المؤرخ الأسكتلندي توماس كارليل لأول مرة عام ١٨٤١، وتحديدًا في كتابه "الأبطال وعبادة البطل"، بل صار يشكل السلطة الأولى.

أصبحت الشعوب تُروّض اليوم وتخدّر بالمنتوجات الإعلامية المختلفة، حتى أضحينا أمام جيل رقمي بأكمله يقضي الساعات الطوال خلف شاشات الألعاب، ويدرس عن بعد، ولا يكاد يرفع عينيه عن الشرائح الإلكترونية المتنوعة. وقد ترتب عن ذلك نوع جديد من الجهل الذي يونع عبر حقول العلم والمعرفة، فيسود الحديث عن الأمية الرقمية والبصرية، أو ما أسماه الباحث البلجيكي، لوك باولس، في كتابه حول ثقافة الصورة "أمية الصورة"، التي لا يتأتى محوها إلا بصياغة لغة الصورة ودراسة أشكالها ومجالات استعمالها.

وهذا يدل على أن عالم الإنترنت الذي سمح بتدفق شلالات المعرفة والمعلومات عبر الويكيبيديا والفيسبوك واليوتيوب والتويتر والمكتبات الرقمية وغيرها، أطلق بموازاة ذلك ما يقف حائلاً دون تثقف الناس وتعلمهم وتملكهم للمعرفة الحقيقية، وهي الجوانب الكمالية والتكميلية كالأغنية والألعاب والصورة المتحركة والدردشات المتواصلة والتجارة الاستهلاكية، فانشغل الناس بذلك أيما انشغال، ما أدى إلى عزوفهم عن المواقع العلمية والمعرفية الصرفة التي لا تستقطب إلا قلة قليلة من الباحثين والطلبة والمهتمين.

وهكذا تمكن نظام العولمة الجديد من تخدير العوام، أو ما يطلق عليه المفكر اليهودي الأصل،

نعوم تشومسكي، في كتابه "السيطرة على الإعلام": القطيع الضال الذي يُساس بالهراوة! وقد تكون هذه الهراوة حقيقية كما هو الحال في العالم الثالث، أو رمزية كما هو الحال في العالم المتقدم. ثم إن هذا القطيع الضال يعد مشكلة وعلى الساسة منعه من الزئير ووقع الأقدام، لينشغل القطيع بمشاهدة أفلام العنف والجنس، أو المسلسلات القصيرة، أو مباريات الكرة، أو متابعة الشبكات الاجتماعية.

تعالوا نتأمل بعض الإحصائيات المتعلقة بتدفق المعرفة واستعمال الإنترنت لعام ٢٠٢١ حسب مرصد VPN. حيث هناك أكثر من ٥ مليارات مستخدم للإنترنت اليوم عبر العالم، أكثر من ٤٨٪ يستعملون الحاسوب، أما مستخدمو الجوال فيناهز عددهم ٤٧٪، في حين لا يتعدى الإقبال على الشرائح الإلكترونية ٤٪. وتتحدد نسبة مستعملي الهواتف الذكية في ٣ مليارات و٨٠٠ ألف مستخدم، بينما يتجاوز مستخدمو شبكات التواصل الاجتماعي ٣,٥ مليار مستخدم. يتصدرها الفيسبوك بـ ٢,٧ مليار مستخدم، ويليه اليوتيوب والواتساب. في حين يناهز عدد مواقع الإنترنت عبر العالم ملياراً و٨٠٠ مليون موقع رقمي.

ولم يحدث هذا التغلغل العارم لأخطبوط الإعلام الجديد تحولاً ماديًا وتكنولوجياً فقط، بل مسّ أيضا بشكل جذري تركيبة الإنسان الإدراكية والأخلاقية والنفسية والتربوية والهوياتية. فماذا أعددنا للأجيال المسلمة الصاعدة، التي تربّت على مفاهيم الإعلام والعولمة وتكنولوجيا التواصل، ولا تستوعب الدين إلا عبر الميكانيزمات الإعلامية المعقدة التي لا يفهمها رجل الدين التقليدي ولا الآباء ولا الأمهات؟ هل يواكب فقهنا الإسلامي المعاصر هذا التحول الذي أحدثته الثورة الرقمية والعولمية؟ هل فكر فقهاؤنا وعلماؤنا في تأسيس ما يمكن أن نطلق عليه "فقه الإعلام" أو "فقه تكنولوجيا التواصل"؟

لعله آن الأوان لأن نطرح رؤية مقاصدية في تعاطينا مع الإعلام الجديد، لا سيما في علاقته بتغطية الإسلام، وبالتعريف به سواءً داخليًا للأجيال الصاعدة والمسلمين الجدد أو على المستوى الخارجي لغير المسلمين. في الواقع، لم تعد المقالة التقليدية ولا المحاضرة الدعوية ذات تأثير كبير في هذا الصدد، ولو كانت منشورة على الإنترنت. ما أحوجنا اليوم إلى لغة جديدة تعتمد آليات تناسب الشروط الحضارية والثقافية والتواصلية المعاصرة، وهي اللغة التي يفهمها أبناؤنا، الذين لا ننتظر منهم الانكباب على قراءة تفاسير القرآن الكريم، ومصنفات الحديث الشريف، وشروح الفقه، ومؤلفات الأدب واللغة، بل ينتظرون منا أن ننقل لهم أفكار هؤلاء العلماء والمفسرين والفقهاء عبر الآليات التكنولوجية الجديدة التي صار معها الإنسان يقرأ الكتاب الكامل المتوسط الحجم في نصف ساعة، ويتلقى المادة الدراسية كلها في دورة لا تتعدى يوما أو يومين، ويتقن اللغة كاملة في دورات مركزة لا تتجاوز نصف السنة.

وفي الختام، نعتقد أنه لا يمكن تعزيز أو تطوير الإعلام الإسلامي أو إعلام المسلمين في أوروبا والغرب إلا بأخذ السياق الجديد بعين الاعتبار، واعتماد آليات جديدة منبثقة من سياقها وحاجياتها وتطلعاتها، حيث الحديث اليوم عن "أجيال رقمية" يقتضي التعامل معها وربطها بهويتها الدينية الأصلية، فكما ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لا تؤدبوا أولادكم بأخلاقكم، لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم". وهي، بلا شك، حكمة بليغة تنطوي في الحقيقة على رؤية مقاصدية تستوعب الواقع وتستشرف المستقبل.

تأملات في سورة
يوسف

بقلم: د. محمد تاج العروسي

نزلت سورة يوسف في الفترة التي اشتد فيها إيذاء قريش للرسول، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، إضافة إلى ما كان يمر به من حزن؛ حين مات عمه أبو طالب، وزوجته خديجة رضي الله عنها في تلك الفترة، فقص الله عليه قصة يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وفيها صنوف من الفتن والابتلاءات التي صبر عليها، وخرج من جميعها متجردًا خالصًا بعون الله تعالى.

يقول ابن عاشور رحمه الله في التحرير والتنوير: "فيها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من آلهما من الأذى. وقد لقي النبي من آله أشد ما لقيه من بعداء كفار قومه، مثل عمه أبي لهب، والنضر بن الحارث، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وإن كان هذا قد أسلم بعدُ وحسن إسلامه، فإنَّ وقع أذى الأقارب في النفوس أشد من وقع أذى البعداء، كما قال طرفة:

وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

وفيها أيضا إرهاص بفرج قريب بهجرته إلى دار يكون له فيها التمكين والنصر، وإيعاز بأن نصر الله يجيء دائما للأنبياء بعد استنفاد كل وسائل الاقتناع، حتى لا يكون لأحد على الله حجة.

يقول الإمام محمد بن جرير الطبري رحمه الله: "هذا وإن كان خبرًا من الله تعالى ذكرُهُ عن يوسف نبيه عليه السلام، فإنه تذكيرٌ من الله لنبيه محمد وتسلية منه له، عما كان يلقى من أقربائه وأنسبائه المشركين من الأذى، يقول: "فاصبر، يا محمد، على ما نالك في الله، فإنّي قادرٌ على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون، كما كنت قادرًا على تغيير ما لقي يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا، ولم يكن تركِي ذلك لهوان يوسف عليّ، ولكن لماضي علمي فيه وفي إخوته، فكذلك تركِي تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوان بك عليّ، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم، ثم يصير أمرُك وأمرهم إلى عُلوّك عليهم، وإذعانهم لك، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم، وعلوِّ يوسف عليهم". تفسير الطبري ٧/١٥.

تعدّ هذه القصة أطول قصة في القرآن، والوحيدة التي جاءت بتمامها مبينة في السورة، وتبرز فيها إحاطة العناية الإلهية به منذ وعَى نفسه، وبلغ السعي مع أبيه وإخوته، أراد الله له خيرًا عظيمًا، ودارت الأحداث لتحقيق ذلك وإخوة يوسف لا يعلمون

ذلك، فمرت عليه مواقف مختلفة في حياته، بدءًا برؤيته في المنام، وإعجابِ أبيه بشخصيته، ومواهبه، وحسد إخوته له، وتحايلهم على أبيه حتى يسلمه لهم، وتردد الوالد خوفًا من أن يأكله الذئب، وإلقائهم له في الجب، والتقاط السيارة له، وبيعه عبدًا لعزيز مصر، وتعرضه لفتنة امرأة العزيز والنسوة، ودخوله السجن لأجل ذلك، وإعجاب السجينين والملك برؤيته، وتوليه منصب عزيز مصر، وقدوم إخوته عليه، ولم شمل الأسرة بعد أربعين سنة، حتى تحققت رؤيته بسجودهم له جميعا، "ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبلُ قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي".

هذه المشاهد التي ساقتها السورة تجذب القارئ بحسن عرضها، وقوة تأثيرها، وترابطها الوثيق، بحيث يتصورها كأنها رأي عين أمامه، ويحس بموسيقية عذبة عندما يتلوها بنفسه، أو يصغي إلى من يقرؤها، وقد وصفها القرآن بأحسن القصص؛ لما فيها من دروس، وعبر، وعظات، وحِكَمٍ تفيد الإنسان في حياته المختلفة، إضافة إلى ما تحتوي عليه من مظاهر حكمة الله تعالى في ترتيب الأحداث حتى تصل إلى نهايتها التي قدرها الله.

اهتم العلماء بهذه السورة فألفوا فيها أكثر من مائة مؤلف، تناولوا ما تضمنته من الأسلوب القصصي، والفني، والأدبي، والجانب التربوي، والإعجاز البلاغي والبياني، والأحداث التي جرى فيها الحوار، واللطائف التي فيها، والمنهج الاقتصادي، إلى غير ذلك من الموضوعات التي استنبطت من السورة.

وهي الثانية عشرة في ترتيب المصحف، والثالثة والخمسون في ترتيب النزول، وتقع في الجزء الثاني عشر من القرآن، ونزلت في السنة الثانية عشرة من البعثة، وآياتها إحدى عشرة ومائة آية، ورقم السورة والجزء الذي هي فيه مماثل لعدد أبناء يعقوب، وعدد الآيات يلمح إلى ذلك، فالقصة كانت في مائة آية وآية واحدة، والتعليق عليها كان في بقية الآيات، وهي عشرة كاملة، وجاءت في فضلها آثار من السلف، فقد نقل الإمام البغوي في تفسيره عن خالد بن معدان: "إن سورة يوسف، وسورة مريم مما يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة"، وعن ابن عطاء: لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها.

وتنحصر فواصل السورة (نهاية الآيات) في أربعة أحرف، وهي: "النون، والميم، والراء، واللام"، ويعتبر حرف النون من أكثر الحروف دورانًا فيها، تكرر ٩٣ مرة في السورة، وهو أغنى الحروف العربية بالإيقاع الموسيقي، يليه حرف الميم، فقد تكرر خمس عشرة مرة، أما حرف اللام فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى: "فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل"، والراء ورد مرتين في قوله تعالى: "أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار" وقوله: "ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير".

وقد عقد عدد من المفسرين والمؤرخين مقارنة بين القصتين، وبينوا أوجه الشبه بين ما وقع لنبي الله يوسف عليه السلام، والرسول صلى الله عليه وسلم. يقول أبو الحسن الندوي "إن آخر الرسل عليه الصلاة والسلام ومن آمن به، كانوا يواجهون مثل هذه الأجواء القاتمة، ومثل هذه المشكلات، قلةُ عدَدٍ، وضعفُ شأنٍ، وفقدُ أسبابٍ، وخذلانُ العشيرة، ومحاربةٌ شديدةٌ من القوم، وتآمرٌ على قتل الرسول". في هذه الأجواء القاتمة التي لا تثير أملا، ولا تبشر بمستقبل، قص الله على رسوله قصة يوسف، وسيرتُه صلى الله عليه وسلم من أشبه السِّيَرِ به، وقصَّته مع قبيلته قريشٍ، كقصة يوسف مع إخوته، حسدٌ، ومحاربة في

البداية، واعترافٌ وإجلالٌ ونـدمٌ في النهاية، وإبعادٌ وإقصاءٌ، ونكرانٌ وجفاءٌ في الأول، وخضوع والتجاء واستعطاف واستجداء في الآخر، وغيابة الجب في محنة يوسف، وغار ثور في رحلة محمد صلى الله عليه وسلم، وسجنٌ في قصة ابن يعقوب، وشِعبُ أبي طالب في قصة ابن عبد المطلب، وتقريرٌ وإعلانٌ من أعـداء كل واحدٍ منهما "تـالله لقد آثرك الله علينـا وإن كنا لخاطئين"، والجـواب الرفيق من كلا السـيدين الكريمين "لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين". (النبوة والأنبياء ص ١١٣).

المواقف التي مرت على يوسف عليه السلام:

مرّ يوسـف عليه السـلام فـي حياتـه بمحطات مختلفـة لخصها العلمـاء في مرحلتـين: مرحلة الامتحان والابتلاء، ومرحلـة التمكين والإنعام، أما مرحلـة الامتحان والابتلاء: فقد مـر فيها بخمس محن، وهي كالتالي:

المحنة الأولى: كيد إخوته له حسـدًا وغيـرة، قالوا: إن والدهم يفضله عليهـم بالمحبة، فلا بد من قتله "اقتلـوا يوسـف أو اطرحوه أرضًا يخـل لكم وجه أبيكم"، وتحايلوا على أبيهم لانتزاعه منه "أرسـله معنا غدًا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون"، وكان مترددًا في أول الأمر "قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكلـه الذئب"، ولكنهم أقنعـوه بالحفاظ عليه وسلَّمَه إليهم "أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون".

المحنة الثانية: إلقاؤه في قعر الجب، ذهبوا به معهم، ولما وصلوا إلى حافة البئر نزعوا يده وأنزلوه في البئر، ورجعوا إلى أبيهم في المسـاء وهـم يتباكون على فقـده، وجاؤوا بقميص ملطخ بدم؛ ليشـهد على صدقهم، "وجاؤوا علـى قميصه بدم كذب"، وأدرك يعقوب من قسمات وجوههم أن يوسف لم يأكله الذئب، وأنهم اصطنعوا حيلة مكشوفة لا يقبلها العقل، ثم قال لهم: "فصبر جميل والله المسـتعان على ما تصفون".

يقال: إن يعقوب أخذ يقلـب القميص، ويقول: "ما أحلمك من ذئب تأكل ابني ولا تمزق ثيابه"، يقول ذلك تهكمًـا بهم، وقد أوحى الله إلى يوسـف في الجب بأنه سـيجتمع مع إخوته، "وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشـعرون"، وفـي ذلك تأنيس وتقوية لقلبه، وهو في ظلمة الجب، وإشارة بأن الله سيمكن له في الأرض، "وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء".

المحنة الثالثة: بيعه عبدًا رقيقًا، فلما رأى بعض إخوته أن القافلـة قـد التقطته وأخفت خبـر التقاطه، وهم يراقبـون عن قرب، قالوا لهم: هذا عبد آبق من أُمِّنا، وقد وهَبته لنا فباعـوه إليهم بثمن قليل من الدراهم، "وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين"، ثم باعته القافلة في سوق مصر السفلى لعزيز مصر، وكان رجلا حصورا ليس له ولد، فلما رآه توسم فيه الخير، ولم يعامله كباقي العبيد الذين عنده، بل أوصى امرأته به قائلا: "أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا".

المحنة الرابعـة: فتنة امرأة العزيـز، خالفت تعاليم زوجها الذي أمرها بإكـرام مثواه، وطلبت منه فعل المنكـر، ودعته إلى ذلـك بكل الوسـائل من غلق الأبواب، والتزين له، ولكـن الله تعالى عصمه وجاه من كيدها، وذكرت السـورة أدلة توضح عصمة الله لـه، وبراءته من الوقوع فـي الهم بمثل ما همت به المرأة، قال تعالى: "ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء..." إلى قوله تعالى: "يوسف أعرض عن هذا واستغفري لربك إنك كنت من الخاطئين".

فهَمُّ امرأة العزيز كان همًّا بمعصية مقرونًا بالقصد والعزم على الفعل، أما همُّه فقد كان مجرد خاطرة دون عزم ولا قصد، قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره: "لما رأى البرهان ما هَمَّ، وهذا لوجوب العصمة للأنبياء" قال الله تعالى: "كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين"، فإذن في الكلام تقديم وتأخير، أي لولا أن رأى برهان ربه هَمَّ بها، قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله: "ولقد همت به وهم بها" الآية، قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير أي همت زليخاء بالمعصية، وكانت مصِرَّة، وهَمَّ يوسف، ولم يواقع ما هَمَّ به، فبين الهمتين فرق.

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله في التفسير المنير: "كثر كلام الناس وتعليقاتهم حول معنى هذه الآية، والأمر فيها سهل يسير، لا يصح تفسير كلمة "وَهَمَّ بِها" وحدها دون بقية الجملة، وإذا فسرت الجملة مع بعضها تبين أنه لم يهمّ بها قط؛ لأن رؤية برهان ربه قد منعته من ذلك، بدليل أن لَوْلا حرف امتناع لوجود، وجوابها محذوف دائمًا، وتقديره: لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها ولخالطها؛ لأن قوله: وَهَمَّ بِها يدل عليه، كقولك: هممت بقتله لولا أني خفت الله، معناه: لولا أني خفت الله لقتلته، ففي الكلام تقديم وتأخير، أي لولا أن رأى برهان ربه لهَمَّ بها، ثم إن المراد بالهم خطرات حديث النفس، والميل إلى المخالفة بحكم الطبيعة.

فهذا الذي ذكرته هو الذي رجحه بعض علماء التفسير، والله أعلم بحقيقة الأمر وبالصواب، وأيا كان ذلك والذي ينبغي أن يركز عليه ما انتهى إليه الأمر سواء لما جرى بينهما أو لما حدث من النسوة، فقد انتهت القصة بشهادة النسوة، وامرأة العزيز ببراءته "قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء، قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين"، ونجح نبي الله يوسف بصبره وتحمله في تحقيق كل ما يريده، من الانفلات من كيد النساء، والحفاظ على عفافه، والحصول على براءته، وتغيير موقف امرأة العزيز من سفح الشهوات الهابط إلى قمة الإيمان الصالح، ومن حب شهواني جسدي، إلى حب موضوعي فكري، أحبته لعفته وطهارته، ولدينه، وتوجهت إلى الله بالاستغفار عن كل ما جرى منها، "وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم".

المحنة الخامسة: دخول يوسف السجن، بدا للعزيز وأصحابه إيداعه في السجن لمدة تنتهي باختفاء حديث الناس عن القصة، ودخل السجن مع تضافر الأدلة على براءته، ودخل معه في الوقت نفسه خباز الملك، وساقيه بتهمة دس السم في الطعام، فقام في السجن بالدعوة وتعبير الرؤيا للفتيان، وكان تعبير رؤيا الملك سببا لتبرئته من التهم وخروجه من السجن عفيفًا، وتوليه منصب عزيز مصر.

المرحلة الثانية مرحلة التمكين والإنعام: وفيها محطتان:

كانت المحن التي مر بها يوسف عليه السلام تمهيداً لمرحلة المنح والعطايا الربانية، والإعداد للمهمة العظيمة التي تحتاج إلى توفر صفات في من يتحملها، وفيها محطتان:

المحطة الأولى: تبدأ هذه المرحلة برؤيا الملك التي عجز عن تفسيرها الكثيرون من حواشيه، وتعبيره له، فأعجب الملك بتفسيره، وأمر حاشيَته بإحضاره، لينعم بالعفو والإفراج عنه، ولكنه رفض الخروج من السجن حتى تثبت براءته، فلما تحقق له ذلك خرج من السجن، وعرض على الملك أن يوكل إليه أمر تدبير الأزمة التي ستحدث في مصر، وأخبره عن

مؤهلين من مؤهلاته "إني حفيظ عليم"، أي يحفظ موارد سنوات الخصب لسنوات الجدب، ويعلم كيفية إنفاق الغلال بتقنين وتخطيط، ولديه من المعرفة ما يعينه على ذلك، وازداد الملك إعجابًا به عندما لاحظ فيه الجدية، وأسند إليه منصب "عزيز مصر"، فوضع خطة اقتصادية لإطعام أهل مصر، والبلاد المجاورة طيلة أربع عشرة سنة، فقام بإكثار الزراعة ليضمن الإنتاج الفائق، واهتم بالعدالة في التوزيع، مع إعادة استثمار المدخرات، أي قام بخطة ثلاثية "الإنتاج، والاستهلاك، والادخار"، ووضع طريقة لمنع الحبوب من التسوس طوال فترتي الخصب والجدب، حتى لا تأتي السنوات العجاف على كل المدخرات.

المحطة الثانية: تضمنت الحوار الذي جرى بين يوسفَ وإخوته، ويعقوب وأبنائه، وحوارهم مع الفتيان، فبدأ بالتعرف على إخوته العشرة عندما قدموا إلى مصر للحصول على الطعام، فعرفهم وهم له منكرون، ثم جعل إحضار أخيهم الصغير في المرحلة الثانية ثمنًا لحصولهم على القوت، ووافقوا على ذلك، ولما رجعوا إلى أبيهم أخبروه بأنه مُنع منهم الكيل إلا إذا أحضروا أخاهم ووعدوه بالحفاظ عليه، فوافق على إرساله معهم بعد أخذ العهد عليهم، وطلب منهم أن يدخلوا المدينة من أبواب متفرقة.

ولما قدموا بأخيه الصغير آواه وأخبره بأنه أخوه، وأمره بكتم ذلك عن إخوته، ثم دبر خطة لإبقائه عنده، واعتبرها القرآن تدبير العلي العظيم، "كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله"، واسترحموه ليأخذ أحدهم مكانه "إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه"، وعندما تبين لهم رفضه القاطع تشاوروا بينهم فذكَّرهم أخوهم الكبير بالوعد الذي أخذه عليهم أبوهم، وما فعلوه من قبلُ بأخيهم يوسف، "قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف"، ثم قال لهم: أنا لن أذهب معكم ارجعوا إلى أبيكم فأخبروه بما حدث من تطبيق حكم السرقة عليه وجعله عبداً لعزيز مصر، ولما علم يعقوب بالواقعة قال: "فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا"، وقال لهم ابحثوا عن يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله، فلما دخلوا عليه مرة أخرى طلبوا منه أن يوفي لهم الكيل وأن يتصدق عليهم، فقال لهم: "هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه، إذ أنتم جاهلون"، فأخبرهم بأنه يوسف وهذا أخوه، فعفا عنهم وقال لهم: "لا تثريب عليكم اليوم" فكان منهم الإساءة، ومنه الإحسان، ومنهم الشر ومنه الخير، ثم أعطاهم قميصه ليلقوه على وجه أبيه ويأتوا بالأسرة كلها إلى مصر، فلما ألقوه عليه ارتد بصيرا، فلما قدموا عليه جميعا "ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا"، وبذلك تحققت رؤياه وأخبر أباه بذلك.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في تفسير المنار: "أما سورة يوسف فهي قصة نبي واحد، وجد في غير قومه قبل النبوة صغير السن، وبلغ أشده واكتهل فنبئ وأرسل، ودعا إلى دينه، وكان مملوكا، ثم تولى إدارة الملك لقطر عظيم، فأحسن الإدارة والتنظيم، وكان خير قدوة للناس في رسالته، وجمع ما دخل فيه من أطوار الحياة، وطوارئها، وطوارقها، وأعظمها شأنه مع أبيه وإخوته آل بيت النبوة، فكان من الحكمة أن تجمع قصته في سورة واحدة.

ويقول ابن عاشور، رحمه الله، في التحرير والتنوير: وصف الكتاب هنا بـ"الْمُبِينِ"، ووصف في طالعة سورة يونس بـ"الْحَكِيمِ"؛ لأن ذكر وصف إبانته هنا أنسب، إذ كانت القصة التي تضمنتها هذه السورة مفصلة مبينة لأهم ما جرى في مدة يوسف عليه السلام بمصر، فقصة يوسف لم تكن معروفة للعرب قبل نزول القرآن إجمالا ولا تفصيلا، بخلاف قصص الأنبياء: هود، وصالح، وإبراهيم،

ولوط، وشعيب عليهم السلام أجمعين، إذ كانت معروفة لديهم إجمالا، فلذلك كان القرآن مبينًا إياها ومفصلًا، ونزولها قبل اختلاط النبي صلى الله عليه وسلم باليهود في المدينة معجزة عظيمة من إعلام الله تعالى إياه بعلوم الأولين، وبذلك ساوى الصحابة علماء بني إسرائيل في علم تاريخ الأديان والأنبياء وذلك من أهم ما يعلمه المشرعون.

الخلاصة:

قصة نبي الله يوسف عليه السلام تتجلى فيها سلسلة من الابتلاءات، وفيها حكم، ولطائف، وجمال في التنسيق والتنظيم، وتحتوي على عجائب من قدرة الله، ودروس يحتاجها كل مسلم، فقد امتحنه الله بكيد كل: من إخوته، والسيارة، وامرأة العزيز والنسوة في المدينة، وكيد الملأ به، فتحلى في تلك المواقف كلها بالصبر، والحلم، والعفة، والأمانة، والعفو، والإحسان، واللجوء إلى الله تعالى، فخرج منها كلها تقيًا نقيًا متجهًا إلى ربه بالدعاء، فكافأه الله بالحفظ والرعاية، وآتاه العلم والحكم، والملك، ورفع شأنه ومكانته فوق إخوته، وأقرت امرأة العزيز والنسوة ببراءته، وأعجب به العزيز وأسند إليه تدبير دفة الحكم في بلده، ومكنه الله في الأرض، "وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء".

وفيها التناسق بين فاتحة السورة وخاتمتها، ففي بدايتها قوله تعالى: "نحن نقص عليك أحسن القصص"، وفي ختامها "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب"، وحسن التنظيم يبدو في الوحدة الموضوعية، فكل حدث يسلمك إلى الذي يليه، حسب اختلاف المشهد والظروف المحيطة به. ومن عجائب القصة أن الأحداث فيها تسير في الغالب عكس الظاهر، فما ظاهره خير في البداية يتحول إلى الشر في النهاية، وما يبدو للناس في صورة الشر في أول الأمر يتحول إلى الخير في نهايته، وما يظهر في البداية ذُلًّا وهواناً يكون في النهاية عِزًّا وسعادة، وما أصبح في الأول شقاءً صار في الآخر هناءً.

فحب والده له خير، وإلقاؤه بسببه في البئر ظاهره شر، ولكن خروجه من البئر الذي ألقي فيه كان خيرًا له، أما بيعه عبدًا رقيقاً بعد ذلك يُرى في الظاهر شراً، وكونه بعد البيع الثاني من نصيب عزيز مصر الذي اهتم به ورفع شأنه فيه خير، فقد خفف عنه شعوره بالرق، أما تعرُّضه للفتن في قصره فهو شر، فقد نغَّص عليه الحياة، وشهادة الشاهد له بالبراءة خير، فقد أعادت إليه الاطمئنان، وقرار الملأ دخوله السجن مع براءته ظلم عظيم، وشر مستطير، ولكن نتيجة الحبس كانت خيرًا كبيرًا، وفوزًا عظيمًا لأهل مصر، ولأسرته، وللبلدان المجاورة أيضاً، فقد كان السجن سببًا لقيامه بالدعوة، وشهرته بتفسير الرؤيا، وخروجه من السجن بريئًا ومعززًا، وحصول ثقة الملك به، وتعيينه بمنصب عزيز مصر، وتحقق الخير الكثير في عهده لأهل مصر وعفوه عن إخوته وقدوم الأسرة كلها إلى مصر، حيث تحقق له لمّ شمل الأسرة.

وفيها دروس منها: عدم اليأس من روح الله في أحلك الظروف، والثقة بالقيم الإيمانية وأن عاقبتها حميدة، الكفاءة مطلوبة في تولي المناصب ومن أهمها: الحفظ والأمانة، والعفة، والنزاهة، والتمتع بالعلم والخبرة، ومعرفة كيفية تدبير الأمور خاصة في أوقات الأزمات، وإرادة الله هي النافذة ضد إرادة الإنسان في تدبير السوء، وينبغي للإنسان أن يستعين على قضاء الحاجة بالسر والكتمان، ولا بأس بأخذ الأسباب التي يراها الإنسان أنها تكون وسيلة للنجاة من المصائب.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

خصائص الرسول ﷺ

بقلم: د. حسن نور حسن العلي
باحث في إدارة التعريف بالنبي

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

يُقصد بخصائص الرسول صلى الله عليه وسلم الأمور التي تميز بها عن غيره وهي متعددة، فمنها ما اختص بها في الدنيا ومنها ما اختص بها في الآخرة ومنها ما اختصت به أمته في الدنيا ومنها ما اختصت به أمته في الآخرة، ولكل نوع من الأنواع المذكورة أمثلة ذكرها العلماء.

وفي هذا المقال نتحدث عن خاصية من خصائصه صلى الله عليه وسلم في الأحكام التي لا تشارك أمته فيها.

وقبل أن أتحدث عن هذه الخاصية بالتفصيل أذكر أنواع هذه الخصائص بإجمال. وذلك بذكر مثال أو مثالين دون التعرض لجوانبها الأخرى المتعلقة بها.

هذا وقد تحدث عن هذه الخصائص الإمام النووي في كتابه روضة الطالبين وعمدة المفتين في أول الجزء السابع. كما تحدث عنها في كتابه تهذيب السيرة النبوية ابتداءً من ص ٧١ إلى آخر كتابه هذا.

وقد ذكر الإمام النووي في كتابيه المذكورين أن هذه الخصائص على أربعة أضرب وتبعه في ذلك الإمام السيوطي في الجزء الثاني من كتابه: الخصائص الكبرى (٢/ ٣٩٦) عند الكلام عن ذكر الخصائص الَّتِي اخْتصَّ بهَا الرسول صلى الله عليه وسلم عَن أمته من وَاجِبَات ومحرمات ومباحات وكرامات مِمَّا لم يتَقَدَّم لَهُ ذكر.

وأنا أذكر هذه الأنواع الأربعة مع ضرب مثال أو مثالين لكل واحد منها استنادًا إلى ما ورد فيها من أدلة من الكتاب والسنة.

وعندما أذكر تلك الأمثلة فلا أتوسع فيها إلا المثال الذي سوف أضربه للنوع الأخير.

وهذه الأنواع الأربعة هي: الواجبات والمحرمات والمباحات والفضائل.

الضرب الأول يتضمن ما اختص به الرسول صلى الله عليه وسلم من الواجبات.

وذكر العلماء الحكمة من ذلك وهي زيادة الزلفى، والدرجات العلا، فلن يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترض عليهم كما صرح به الحديث الصحيح.

والحديث المشار إليه هو الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ...".

مثال للضرب الأول وهو الواجب

كَانَ يجب عَلَيْهِ تَخْيِير زَوْجَاته بَين اخْتِيَار زِينَة الدُّنْيَا

ومفارقته وَبَين اخْتِيَار الْآخِرَة والبقاء فِي عصمته وَلَا يجب ذَلِك على غَيره.

ودليل ذلك قوله تعالى: "يَا أَيهَا النَّبِي قل لِأَزْوَاجِك إِن كنتن تردن الْحَيَاة الدُّنْيَا وَزِينتهَا فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيما" (الأحزاب: ٢٨، ٢٩).

وَاخْتلف فِي سَبَب نُزُول هَاتين الآيتين على أَقْوَال لكن مهما كان سبب نزولهما فإن المعنى المستفاد منهما واضحٌ وجلي وهو وجوب عرضه صلى الله عليه وسلم التخيير بين الأمرين المذكورين في الآيتين على أزواجه رضي الله عنهن لأن الأمر للوجوب إن لم يوجد صارف عن ذلك من دليل أو قرينة كما تقرر في القواعد الأصولية ولا صارف هنا.

الضرب الثاني من الخصائص وهو الضرب المتعلق بالمحرمات على النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره.

المثال الأول لهذا الضرب

كان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم الخط وهو الكتابة لأنه كان أميًا والأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب.

ودليل أميته قوله تعالى: "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل... الآية" (الأعراف: ١٥٧).

وكذلك قوله تعالى في الآية التي بعد هذه الآية: "... فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون" (الأعراف: ١٥٨).

ويضاف إلى ذلك الآية التي تنص على أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يتلو قبل نزول القرآن عليه وما كان يكتب قبله ولا بعده، وهي قوله تعالى: "وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون" (العنكبوت: ٤٨).

المثال الثاني لهذا الضرب

يوجد لهذا الضرب المتعلق بالمحرمات عليه صلى الله عليه وسلم مثال آخر وهو قرض الشعر.

ودليل ذلك قوله تعالى: "وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين" (يس: ٦٩).

وما ينبغي أن يُعلم أن الأمية منقبة للنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره.

الضرب الثالث هو المباحات التي أبيح للنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من أمته .

مثال ذلك صوم الوصال.

والدليل على ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحهما أَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الوِصَالِ قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى".

الضرب الرابع هو الفضائل التي اختص الله بها نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم.

ولهذا الضرب أمثلة عديدة لكننا نختصر على ذكر مثال واحد.

المثال لهذا الضرب

مما فضل الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم هو أن أَزوَاجه اللَّاتِي توفّي عَنْهُن مُحرَّمَات على غَيره أبدًا.

وهذه الخاصية هي التي أتحدث عنها بنوع من التفصيل. وذلك بذكر جوانب مختلفة ذات علاقة بها من ناحية من النواحي.

والدليل على هذه الخاصية قوله تعالى: "... وَمَا كَانَ لكم أَن تُؤْذوا رَسُول الله وَلَا أَن تنْكِحُوا أَزوَاجه من بعده أبدًا إن ذلكم كان عند الله عظيما" (الأحزاب : ٥٣).

وقد ذكر العلماء أسبابًا لهذه الخصوصية لكن السبب الأهم هو الذي ورد في القرآن الكريم. وذلك كونهن

أمهات للمؤمنين كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم...﴾.

ويعني ذلك أنهن مثل أمهاتهم في تحريم نكاحهن مع القيام باحترامهن وطاعتهن والتعامل معهن بما يليق بهن دون أن يترتب عن ذلك ما يترتب عن الأمهات الأصليين مثل أن يكون آباؤهن أجدادًا ولا أمهاتهن جدات وكذلك لا يكون إخوانهن أخوالا ولا أخواتهن خالات ولا أولادهن من الذكور والإناث إخوانًا ولا أخوات ولا زوجهن وهو الرسول صلى الله عليه وسلم أبًا لأحد من الرجال.

وقد نصَّ القرآن على عدم كون النبي صلى الله عليه وسلم أبًا لأحد من الرجال كما في قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين...﴾ (الأحزاب: ٤٠).

كما أنه لا يترتب عن كون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات للمؤمنين جواز الخلوة بهن بل أمر الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله اتباع طريقة معينة عند سؤالهن عن أمر من الأمور، إذ أوجب الله تعالى أن توجه الأسئلة من وراء حجاب.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿... وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن...﴾ (الأحزاب: ٥٣).

وهذا الحكم الذي بصدد الحديث عنه يسري على الأزواج اللائي دخل بهن النبي صلى الله عليه وسلم على أصح الأقوال وهن التسعة اللائي كن تحته صلى الله عليه وسلم وقت وفاته، وأما من ماتت منهن في زمن حياته صلى الله عليه وسلم لا يسري هذا الحكم عليها لاستحالة تطبيقه كما هو واضح وإن كانت من أمهات المؤمنين.

ومن المتفق عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج إحدى عشرة امرأة ودخل بهن، وما زاد عن ذلك العدد ففيه كلام كثير لا يسع المقام لذكره، ومنهن اثنتان ماتتا في زمن حياته صلى الله عليه وسلم وهما السيدة خديجة بنت خويلد الأسدية والسيدة زينت بنت خزيمة الهلالية المعروفة بـ أم المساكين رضي الله عنهما.

قال عزالدين ابن الأثير في كتابه ﴿الكامل في التاريخ﴾ (٢/ ١٧١): تَزَوَّجَ - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَيُقَالُ لَهَا: أُمُّ الْمَسَاكِينِ، تُوُفِّيَتْ فِي حَيَاتِهِ، وَلَمْ يَمُتْ فِي حَيَاتِهِ غَيْرُهَا، وَغَيْرُ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ.

وأما الباقيات منهن فعددهن تسع وهن التسعة اللائي كن تحت عصمته صلى الله عليه وسلم وقت وفاته.

وأذكر في هذا المقام أسماء أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مع قبائلهن.

من المتَّفق عليه من زوجاته إحدى عشرة - كما سبق ذكره - منهن القرشيات ومنهن العربيات من غير قريش ومنهن واحدة من غير العرب، وهن الآتية أسماؤهن مع قبائلهن.

القرشيات منهن ست، هن:

١- خديجة بنت خويلد الأسدية.
٢- سودة بنت زمعة العامرية.
٣- عائشة بنت أبي بكر التيمية.
٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية.
٥- أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية.
٦- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الأموية.

وأما العربيات من غير قريش فأربع، هن:

١- زينب بنت جحش الأسدية.
٢- جويرية بنت الحارث المصطلقية.
٣- زينب بنت خزيمة الهلالية.
٤- ميمونة بنت الحارث الهلالية.

وأما الحادية عشرة من أزواجه صلى الله عليه وسلم فهي صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها وهي الوحيدة من غير العرب وهي من قبيلة بني النضير القبيلة المعروفة التي هي من قبائل يهود المدينة.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

حوار حول
العلاج بالتسامح

عرض: د. محمد الخضر سالم

لا شك أن التسامح فضيلة وقيمة ذات أهمية كبرى في الإسلام، وذات أثر صحي على الفرد والمجتمع، فهو يريح النفس من عناء الانتقام، والحقد، والبغضاء، والهمِّ، والغم، والحزن.

هذا كتاب جديد بعنوان: "حوار حول العلاج بالتسامح"، لمؤلفه أحمد بن عبد الرحمن العرفج، يتعرض فيه الكاتب لتجربة شخصية عن الاستياء، والحقد، والحسد، الذي لم يجد له حلاً إلا العفو، والتسامح، والمصالحة. فمن عفا وأصلح فأجره على الله، فكيف بمن أجره على الله وليس على مخلوق مثله.

مكث الكاتب عشر سنوات في إقبال وإدبار عن التسامح، انتهت بنهاية عام ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠، عندما عقد العزم على أن يقرأ عن التسامح، ويعيش معه، وفيه.

والكتاب في مجمله يدور حول طرق العلاج بالتسامح، واتخاذ القرار بالعفو والصفح عمن أساء إليك، إلى جانب حوار دار بين شخصية حقيقية، لها علاقة بالكاتب، قد انقلبت عليه زوجته، وأخذت منه المال، والبيت، وفلذتي كبده، فصار مشحوناً بالحقد، والغضب منها، فجاء يلتمس الحل والعلاج من هذا الحقد، الذي تملكه فكان الحوار الذي دار بينه، بما يعرف

بشخصية سامح، وشخصية أبي سفيان. وكان أبو سفيان يعطيه الإفادة من تجارب نفسية ومعملية أجراها مختصون في الجامعات الغربية، وحققوا نتائج ملموسة في التخلص من الهم، والغم، والحقد، والشحناء، حتى يعيش الإنسان في صحة جسدية ونفسية جيدة، ويتخلص من آلام القلب، وضغط الدم، والسكر، ويرتاح من الغل، والحسد.

ومعروف أن آيات القرآن الكريم في التسامح كثيرة، وتدل على أن الدين الإسلامي سابق في الدعوة إلى التسامح والعفو. جاء في سورة الأعراف "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"، وكذلك في سورة الشورى "وجزاء سيئة سيئةٌ مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله"، وأيضاً في سورة فصلت "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم".

والأحاديث في هذا الشأن كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما نقصَتْ صَدَقَة مِنْ مالٍ ومَا زادَ اللّه عبداً بعفوٍ إلا عِزاً وما تَوَاضَعَ أحدٌ للّهِ إلا رفعهُ اللّه"، وقوله: "ومَا زادَ اللّه عبداً بعفوٍ إلا عِزاً" فيه وجهان: أحدهما ظاهره أن من عُرف بالصفح، والعفو، ساد وعظُمَ في القلوب وزاد عزّه. "وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مَا رَأَيْتُ النَّبِي صلى الله عليه وسلم رُفِعَ إِلَيْهِ شيء مِنْ قِصَاصٍ إِلاَّ أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ".

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "غَفَرَ اللّه لرَجُلٍ كانَ مِنْ قَبلِكُمْ سَهلاً إذا باعَ، سهلاً إذا اشترى، سَهلاً إذا قضَى، سهلاً إذا اقتَضى"، وفي رواية أخرى: "أحبَّ اللّه عبداً سَمِحاً إذا باعَ، وسَمِحاً إذا اشترى، وسَمِحاً إذا قَضى، وسَمِحاً إذا اقتضى".

وفي قصص الأنبياء أمثلة كثيرة عن التسامح، ففي قصة يوسف عليه السلام مع أخوته حيث قال لهم: "قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين". كذلك قال النبي صلى الله عليه سلم، عندما جاء يوم الفتح لقومه من قريش: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

وهكذا يصور لنا المؤلف حكايات وقصص الأنبياء في التسامح، الذي أول المستفيد منه الشخص المتسامح، ليرفع عن كاهله عبئاً من الأمراض الجسدية، والنفسية.

التسامح في اللغة، يعني السلامة، والتساهل، والتهاون، واللين، والسماح هو الجود، فنقول سمح به أي جاد به.

وقد جاء في لسان العرب، لابن منظور: سمح -السماح- المسامحة- التسميح، تعني لغة: الجود. وأسمح إذا جاد وأعطى بكرم وسخاء، وأسمح وتسامح أي وافق على المطلوب، والمسامحة هي المساهلة.

التسامح اصطلاحاً: هو المقدرة على العفو، والصفح عن الآخرين دون إيذائهم، أو الإضرار بهم، وعدم مقابلة الإساءة بإساءة مثلها. ومن المعاني الاصطلاحية في الإسلام: ترك المقاضاة، والمطالبة بالحق، وعدم أخذ العوض. وهو ضد العنف، والتطرف، والتشدد، والتكفير، والانتقام.

ومن المعاني الاصطلاحية الدارجة: قبول اختلاف الآخرين سواءً في الدين، أو العرق، أو السياسة. ومنه جاء مصطلح "التسامح الديني"، وهو احترام عقائد الآخرين، ومعاملة الناس بعضهم في رضا، رغم اختلاف وجهات نظرهم وآرائهم، وقبول الآخر المختلف في العرق، والعقيدة، والمذهب السياسي.

تعريف الأمم المتحدة للتسامح: بحسب قرار جمعية

الأمم المتحدة ٥٠/٢٥١: شؤون حقوق الإنسان: "التسامح يعني الاحترام، والقبول، والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا، ولأشكال التعبير، وللصفات الإنسانية لدينا".

وجميع الكتب السماوية حثت على التسامح، ولا سيما الإسلام خاتم الأديان، وأكملها، وثق في كتابه العزيز، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم قصص التسامح لدى الأنبياء، والأقوام من قبله، لتكون عبراً، ودروساً يهتدي بها من سلك طريق الإيمان، متخلياً عن أخلاق السوء، ومتحلياً بفضائل الأخلاق. ومن معاني التسامح في الإسلام، نذكر بعض المرادفات على سبيل الحصر:

العفو: يشير إلى إسقاط العقوبة، أو رفع الحرج، لكن دون إسقاط الذنب، أو رفع المؤاخذة عن الإساءة.

الصفح: هو التجاوز عن الذنب، وترك اللوم، أو المؤاخذة، أو العقوبة، أو المقابلة بالمثل.

الغفران أو المغفرة: هو إسقاط العقوبة، ونفي المؤاخذة، مع الإحسان للمسيء بالستر، أو محو الذنب، وإبداله بالمثوبة.

التعايش: هو الإيمان بوجود اختلاف، واحترام كل طرف لعادات، ومعتقدات وأفكار، وتقاليد الطرف الآخر.

كظم الغيظ: وهو لغة الإمساك والجمع للشيء، ويعرف اصطلاحاً بأنه إمساك ما في النفس من شدة الغضب.

ومن أضداد تلك العبارات على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

التشدد: ويشير إلى التمسك بالرأي، دونما إعطاء الفرصة للاستماع للآخرين، ودون إعطاء الآخرين فرصة التعبير عن آرائهم، والإدلاء بأدلتهم.

التطرف: وهو التشدد عندما يزيد عن حده، فيجعل المرء يلجأ إلى القوة والعنف لبلوغ مآربه، لذلك فالتطرف يؤدي إلى الإرهاب.

الانتقام: وهو الغضب الشديد، الذي لا تنطفئ جذوته إلا بأخذ الثأر.

الغل أو الحقد: الحقد هو نقيض التسامح، والغل هو الحقد الكامن والمستديم.

الإعراض: وهو من ألطف أضداد التسامح، حيث روى أبو أيوب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".

الغلو: وهو لغة مجاوزة القدر، ويعرف اصطلاحاً بأنه تجاوز الحد الشرعي المشروع في المعتقد، والسلوك.

التعصب: وهو لغة الطي الشديد، ويعرف اصطلاحاً بأنه الغلو في المناصرة والتأييد.

التعنت: وهو لغة التشديد، ويعرف اصطلاحاً بأنه التشدد، وعدم الليونة في الأمر.

الإرهاب: وهو لغة الإزعاج، والإخافة، أما معناه الاصطلاحي فقد ذكر أن تحديده صعب.

من بعد ذلك يمضي مؤلف الكتاب في القصة الحقيقية التي عانى منها الشخص الذي انقلبت عليه زوجه، وأخذت بيته، وماله، فغضب منها. وبدأ أبو سفيان يقنعه بوسائل التسامح، حتى رضي، وأراح نفسه من الغم، والبغضاء، والحقد، والحزن، واطمأنت نفسه، وهدأ باله، وشفي جسدياً، ونفسياً.

من فنون العمارة الإسلامية
مسجد قرطبة بالأندلس

بقلم: د. أحمد عبد الرازق عبد العزيز - مصر

تعـــدُّ الأندلس مدينة الســـحر والجمـــال بفضل عماراتهـــا وآثارهـــا الباقية إلى يومنا هـــذا، ولنا أن نلمس بأســـبانيا الآن آثار التقاليد الإســـلامية في جميع مظاهر الحياة العمرانية. ولا تزال مدنها تحمل ذلك الطابع الإسلامي، فقد خلف مسلمو الأندلس (أسبانيا) تراثًا حضاريًا معماريًا، يتمثل في مدنهم وقراهم، وهـــذه العمارة تســـتحق أن نلقي الضوء على أحد نماذجها المعمارية الفريدة، وهو المســـجد الجامع بقرطبة.

كانت بدايـــة العمارة الحقيقية بيـــد عبد الرحمن الداخل الـــذي أعاد بناء ســـور قرطبـــة الكبير عام ١٤٥هـــ/٧٦٦م، كما اهتـــم ببناء عاصمـــة الدولة الأمويـــة الجديدة، فحصنها وزينها بالمنشـــآت، مثل قصر الرصافة الذي أحاطه بحدائق غناء زاهرة.

ويعد جامع قرطبة من الوجهة الفنية أعظم وأروع أمثلة العمارة الإســـلامية في العصور الوســـطى؛

فلم يخلّد أثر من الآثار الإسلامية في كتب التاريخ كما خُلد المسجد الجامع بقرطبة، وقد كتب عنه جميع مؤرخي العرب في المغرب، والأندلس، ووصفوه وصفاً دقيقاً، وما يؤيد وصفهم هو بقاء الأثر الجليل حتى اليوم.

بُني هذا الجامع على أنقاض كنيسة للنصارى بعد أن بذل فيها الأمير عبد الرحمن الكثير مقابل الموافقة على بناء كنيستهم خارج المدينة، فتمم لهم ما أرادوا عام ١٦٩هـ/٧٨٥م، كما بدأ بتشييد المسجد الجامع بقرطبة عام ١٧٠هـ/٧٨٦م. ومن مظاهر إجلال هذا الجامع ما نعته به المراكشي "بالجامع الأعظم... وهو معظم القدر عند أهل الأندلس"، حتى إن أمهر الحرفيين متفقون على أن منبر مسجد قرطبة بأسبانيا يعد من أبدع المنابر على الإطلاق. ويؤكد الإدريسي على ذلك بقوله: "وفيها المسجد الجامع الذي ليس بمساجد المسلمين مثله بنية وتنميقاً وطولاً وعرضاً". وأشار إلى أن جميع خشب هذا المسجد من عيدان الصنوبر (المراكشي، ١٩٩٩). وعموماً ساهم أمراء بني أمية في الإضافة للمسجد، وذلك على ست مراحل، حيث كان نصف هذا المسجد بالبداية مسقفاً، وهو بيت الصلاة، ويشتمل على تسع بلاطات عمودية على جدار القبلة، وكان السقف من خشب مسطحة ومسمرة، وفيها ضروب الصنائع والزخارف المنشأة من الضروب المسدسة، بالإضافة للألوان المبدعة الزاهية، ونُقشت على أغلبها الآيات القرآنية. وكانت تعلو هذا السقف هياكل هرمية تمتد على امتداد البلاطات، وقد اكتسب المسجد بذلك مظهراً زخرفيًا بسيطاً متأثراً بالفن البيزنطي والروماني.

وجميع أعمدة المسجد وتيجانه قديمة من أنقاض الكنائس المهدمة، ولكن لم يتبق من هذا السقف شيء. أما النصف الآخر للمسجد فكان صحناً للهواء، وفرش بالأشجار. أما المرحلة الثانية فكانت أكثر تطوراً، حيث أنفق عبد الرحمن الداخل أكثر من مائة ألف دينار، ولكن الموت أدركه قبل إتمام البناء، ليكمل طريقه ابنه هشام عام ١٧٢هـ/٧٨٨م، حيث زاد في صومعة الجامع حتى بلغ ارتفاعها عشرين متراً إلى موضع الأذان. وبُني بآخر المسجد سقائف لصلاة النساء، وأمر ببناء الميضأة بشرقي الجامع.

وكانت المرحلة الثالثة بعهد عبد الرحمن بن الحكم الذي ولي الإمارة ٢٠٧هـ/٨٢٢م، حيث عمل على زيادة عدد بلاطات المسجد عام ٨٣٤م عندما ضاق المسجد بالمصلين، وقد وصل هذين البلاطين في سقيفتين بالسقائف التي كانت معدة بجوف المسجد الأقدم لصلاة النساء، وعام ٢٣٤ هـ/٨٤٨م زاد في بيت الصلاة، وهي الزيادة الأولى البارزة، وفُتح في بيت الصلاة بابان في جانبي المسجد الشرقي والغربي.

وكانت المرحلة الرابعة في عام ٣٤٠هـ/٩٥٠م بيد عبد الرحمن الناصر، عندما أمر ببناء صومعة عظيمة تتفق وجلال الخلافة الأموية، وقام ببناء مئذنة أثارت إعجاب المؤرخين، حيث كانت المئذنة منقسمة إلى جزئين يفصلهما جدار مشترك، ويوحدهما سطح علوي، ولكل منهما باب، وأحدهما يطل على الصحن والآخر يفضي إلى الطريق الخارجي، وقد اتخذت مئذنة الناصر فيما بعد نموذجًا للمآذن الأندلسية والمغربية، وكانت ترفع في أعلاها الشموع عند الاحتفال بليلة القدر.

وكانت المرحلة الخامسة للمسجد بعهد الخليفة الحكم المستنصر، عندما قام بتوسيع بيت الصلاة بعد أن ضاق بالمصلين؛ فكانت زيادة الحاكم قد زودت الجامع بتناسقه وإيقاع أجزائه وعظمته، وذلك بإقامته المقصورة وتتويجها بثلاث قباب، وتوسط المحراب واجهة المقصورة. قال الإدريسي: "لهذا الجامع قبلة تعجز الواصفين أوصافها، وفيها إتقان يبهر العقول تنميقها". ويعد المحراب هو أجمل ما في الجامع، باعتباره أنبل مكان بالجامع، وعلى واجهته سبعة عقود ثلاثية الفصوص مزججة دقيقة التكوين والزخرفة، ومع يمين المحراب المنبر الذي ليس له مثيل في الأرض، ويوصف بأنه نموذج لا يبارى في

صنع الأثاث الرفيع المطعم بالعاج والخشب الرقيق.

وكانت المرحلة الأخيرة للجامع عندما قام المنصور عام ٣٧٧هـ/٩٨٧م بزيادة الجامع بإضافة ثماني بلاطات لزيادة السكان والوافدين على قرطبة، ودام العمل فيه سنتين ونصفاً، وخدم فيه بنفسه، وفتح المنصور من الأبواب الأخرى ثمانية أبواب في الجدار الشرقي للمسجد بصورته النهائية، وهي نفس عدد الأبواب النافذة إلى بيت الصلاة في الجدار الغربي، فأصبح لبيت الصلاة ستة عشر باباً، يضاف إليها بابان ينفذان إلى الصحن، وثلاثة أبواب بالجدار الشمالي، وجميع الأبواب مغلفة بالنحاس الأصفر، ومخرمة تخريماً عجيباً بديعاً مبهرًا. وفي كل باب منها حلقتان في نهاية الإتقان. وهنا وبعد أن استعرضنا مراحل بناء المسجد حتى أصبح أعجوبة يتحاكى بها المؤرخون في الشرق والغرب، كان لا بد أن نعرض الفصل الأخير لهذا الأثر الإسلامي التاريخي.

لقد ظل المسجد على حاله حتى سقطت قرطبة على يد فرنادو الثالث ملك قشتالة عام٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م، وغيّر اسم المسجد إلى كنيسة سانتاماريا الكبرى، ورغم ذلك أظهر الأسبان احتراماً كبيراً للجامع، وقنعوا بتغيير ما يكفي لإقامة شعائر دينهم فقط. ولكن منذ القرن الخامس عشر الميلادي أخذت بعض التغييرات الأساسية تشوه بنية المسجد، فعلى سبيل المثال في عام ٩٣٠هـ/١٥٢٣م شرع أحد الأساقفة في هدم جزء كبير من الجامع لإقامة كاتدرائية، ورغم معارضة المجلس البلدي بقرطبة لمشروع من شأنه هدم أثر معماري فريد إلا أن الأمر عُرض على كارلوس الخامس، ملك أسبانيا، الذي وافق على الهدم لبناء كنيسة دون معاينة الجامع، ولكن بعد عام من الهدم وأثناء مروره بقرطبة ورأى أعمال التخريب على الجامع قال موجهاً كلامه إلى أسقف طليطلة وإلى أعضاء المجلس الكنسي عبارته المشهورة: "لو كنت قد علمت ما وصل إليه ذلك لما كنت قد سمحت بأن يُمس البناء القديم، لأن ما بنيتموه موجود في كل مكان، وما هدمتموه فريد في العالم".

وبشكل عام يعد هذا المسجد من الوجهة العلمية أكبر جامعة إسلامية تدرس فيها العلوم الدينية واللغوية، ويفد إليها طلبة العلم من المسلمين والمسيحيين على السواء للدرس والتحصيل، ورغم بناء العديد من المساجد في قرطبة في عصرها الذهبي إلا أنه لم يتبق منها اليوم سوى ثلاث مآذن هي أبراج كنائس سان خوان، وسانتا كلارا، وسانت ياجو. ومن المرجح أن أغلب المساجد يرجع إلى عصر عبد الرحمن الأوسط. ويذكر المتخصصون في علم الهندسة المعمارية أن الطريقة التي بُني بها مسجد قرطبة مكنت من إقامة بناء ضخم على أعمدة رشيقة (رفيعة نسبياً) مع الاستفادة إلى أقصى حد من المساحة الداخلية، وتحقيق رؤية المصلين للإمام بوضوح وهو يؤمهم في الصلاة. ونتيجة لهذا الإبداع الفني في فنون العمارة الإسلامية بأسبانيا، استخدم المعماريون الأسبان طريقة العقود التي على شكل حدوة فرس في العمارة بأسبانيا منذ ذلك التاريخ. وهكذا يظل التراث الإسلامي زاخرًا، وسنظل نفخر كأمة عربية أننا لنا آثار تدل على حضارتنا المختلفة في أغلب بقاع العالم.

المراجع:

عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (ط الاستقامة، القاهرة، ١٩٤٩م).

الإدريسي، نزهة المشتاق، (الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م)، م الأول.

أحمد الشامي، الحضارة الإسلامية، (ط الهداية، القاهرة، ١٩٩٩م).

السيد عبدالعزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م).

الاعتراف العالمي بوثيقة مكة المكرمة

بقلم: د. محمد تاج العروسي

حظيت وثيقة مكة المكرمة بالدعم الواسع، والاهتمام الكبير من قبل منظمات دولية، ومراكز بحثية عالمية، وقيادات دينية، وشخصيات أكاديمية، وجهات حكومية في مختلف دول العالم. وأبرزت شهادات هذه الجهات أن الوثيقة صارت مرجعية أساسية لحقوق الإنسان، وهي بمثابة الدستور العالمي لترسيخ الأمن والأمان، والتعايش بين أتباع الأديان والثقافات المختلفة، والمنطلق الأساسي لقيم الوسطية والاعتدال في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية. وهذا ليس بمستغرب، فقد استمدت وثيقة مكة المكرمة مكوناتها من صحيفة المدينة المنورة التي أمضاها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل ١٤٠٠ سنة، وحدد فيها الإطار العام للتعامل مع الآخر.

ويمكن توجيه النظر إلى الاعتراف العالمي بهذه الوثيقة التاريخية من خلال مواقف لعل من أبرزها:

" عقد اتفاقيات لتبني وثيقة مكة مرجعاً دينياً بين الرابطة وبين كثير من المراكز الإسلامية في دول بحر الشمال، والدول الإسكندنافية، ووزارة الشؤون الإسلامية الماليزية، والمفوضية الإسلامية الإسبانية.

" إعلان مجلس وزراء خارجية منظمة التعاون الإسلامي اعتماد الوثيقة "مرجعية في المؤسسات الوطنية والإقليمية ذات الصلة بالعالم الإسلامي، بما في ذلك المؤسسات التعليمية، والدينية، والثقافية كافة".

" الاستشهاد المستمر بالوثيقة في جميع المناسبات التي تعزز من أواصر الصداقة والتعاون والتفاهم بين الأمم والشعوب في إطار إقامة الشراكة الحضارية، والتعايش والاندماج الوطني الإيجابي، خاصة في دول التنوُّع الديني والإثني.

" عقد منتديات في عددٍ من الدول لدراسة مضامينها، منها: المنتدى الذي عقد بالعاصمة الأمريكية واشنطن بعنوان: "وثيقة مكة المكرمة لتعزيز الوحدة والتعايش العالمي، وتعاون الأديان من أجل الأمن، والصحة، والتنمية".

" الاهتمام الإعلامي العالمي الملموس بإضاءة بعض المشتركات، مثل أهمية تمكين المرأة وحماية الطفل والعناية بالشباب.

" تبني مشروع بناء دولة المواطنة الشاملة، وتعزيز التنافس في خدمة الإنسان وإسعاده.

" إبراز أهمية تعزيز هوية الشباب المسلم، وتقوية مهارات التواصل لديه مع الآخر.

إن الإشادة العالمية، والاهتمام الملموس بها يوضحان مدى أهمية هذه الوثيقة، وضرورة جعلها مرجعية، ليس على مستوى الدول الإسلامية فحسب، بل العالم كله، في مؤسساته التعليمية، والفكرية، والثقافية، والقضائية، وفي مجال تعزيز الأمن والسلام، وحفظ كرامة الإنسان، وغير ذلك من القضايا التي تضمنتها الوثيقة والتي تهم العالم بأسره.

رابطة العالم الإسلامي

MUSLIM WORLD LEAGUE